الواحدة بعد منتصف الليل...

اسم الكتاب : الوحدة بعد منتصف الليل

المؤلف : نور شاهين

الطبعة : الأولى.

مصمم الغلاف : أمنية محمد.

المراجعة اللغوية : مها عبد المقصود

الإخراج الفني : ناجي أيمن.

رقم الإيداع : **(17819 /2022)**

الترقيم الدولي : **978 – 977 – 86276 – 4 - 6**

جمهورية مصر العربية, القاهرة.

+20 100 666 9802

sahaeladeb@gmail.com

حقوق الطبع والنشر كافة محفوظة للناشر

رواية

الواحدة بعد منتصف الليل

"بين الوعي واللاوعي تبدأ رحلة الشك"

نور شاهين

الإهداء

ظننت طول عُمري أنني أملكني كُلّي، حتى عانقتك أول مرة .؟

إلى أبي وأمي

إلى من علمني اول حرف إلى تلك اليد التي ربتت على كتفي كلما هزمتني الحياة إلى سندي بحياته وسندي برحيله إلى تلك الرائحة التي تفوح من ملابس امي إلى الطهر الذي احن إليه إلى أبي رحمه الله وامي أطال الله عمرها

إلى إخوتي وأخواتي

أبدو نحيلة الملامح دون شوقي لكم ، تائهة المقاصد، كسفينة دون مرساة ولا مرافئ ، كطائر في سماء لا تُطل على غصنٍ واحد، فبالله كيف أذكركم وأنتم كل ما ارتديه

إلى زوجي الحبيب وأولادي

لا وصفٌ يحضرني حين أُسأل عنكم سوى،

لكم يدُ إذا لمستني في موتي أعادت لجسدي الحياة،

إلى صديقاتي و اصدقائي

أسماء اليماني _ منى محمود - حسام الدين عبد الرزاق أحمد _ محمود فكري _ رشاد طلحه

و إن سألت يوماً عنكم، يكفيني قولاً أنكم أذبتم الثلج عن قلبي

المقدمة

بين الوعي واللاوعي تتناثر الأفكار لتتوه بين ماضي آليم وحاضر محتوم، تستحضر العقول شخصيات عبر الزمن، ايقظها العقل الباطن من الموت لتحي أفكار شيطانية فتغير مجرى حياة وتكمل ما بدأته حياة سابقة، هنا اللعنة تبدأ طريقها فيكون الشك طريق اليقين و يتوه اليقين في طريق الشك...

الفصل الأول

برودة المكان الشديدة تأكلُ جِلدَ جسدِهِ، بشرتهُ جافة وكأنهُ قضى أيامًا بالصحراء، يفتحُ عينيه بتثاقُل، فيقع نظرهُ على ساعة رقمية ضخمة، موجودة على الحائط المقابل له، يدقق النظر قليلاً، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، يشعر بِخَدرٍ في جسده، وتَيبسُ في الأطراف، يحاولُ تحريكَ نفسِه، فيكتشفُ أنه مقيدُ على السرير، يصيبهُ الفزع، ينتفضُ جَسَدهُ رافضاً ما هو عليه، فتدوي صفاراتُ الإنذار في أرجاءِ المكان، يتلفتُ حولهُ بقلقٍ شديد، يُفتحُ الباب بسرعة ليدخلَ منه شخصُ يرتدي مِريَلةُ بيضاء يبدو أنه طبيب

يصرخُ قائلاً:

لقد استيقظ ؟

يتقدم نحوه مسرعاً...

ليشد رِباط يديه وقدميه على السرير، يدخلُ طبيباً آخر حاملاً بيده حُقنة يضعها في وريدهُ وهو يردد: لقد استيقظ قبل الوقت المحدد.

يأخذ الملف المعلق في أسفل السرير ويقرأ

الاسم: ...

العمر: ....

التشخيص: فقدان جزئي للذاكرة، غيبوبة، هلاوس.

يضحك الطبيب الأول و هو يشعر بأنه صنع إنجاز كبير و هو ينظر نحو مريضه الذي بدأت تَذبلُ عينيه وهو يقاوم يلتفت يمنى ويُسرى، فتقع نظراته على أَسِرةُ مُحاطةُ بزجاج شفاف تشبه التابوت و بِداخِلها أشخاصُ عُراة، نائمين بسلام.

أغمضَ عينيهَ مُستسلِماً للنوم وقد توقفت نظراتهُ على تلكَ الأرواح (الظلال) الملتصقة أعلى زجاج الأَسِرةَ

دخل في غيبوبة تامة، انفصل جسده عن الواقع الذي رآه قبل دقائق، ولكن عقله الباطن مدركا تماماً لكل شيء.

يحاول استحضار الذكريات فيستجمع قواه العقلية و هو داخل دائرة مفرغة، كأنه عالق بين الأرض والسماء.

ملامحها، حجمها ، شكلها، أين ومتى التقى بها ؟.

تتشكل ذرات ترابية من اللاشيء، تقترب منه بخطوات متكاسلة، يعتصر ذاكرته و هو يرى صورتها بوضوح، و بصوت متعب

يناديها: ماذا يناديها لا يعرف ذاكرته تخونه، أسماء عدة ترد في صدى صوته المكتوم، يمد يده نحوها فتتناثر ذراتها لامعة، مضيئة كأنها نجوم تتساقط من السماء، فتمتزج بالأرض و تتسرب نحوه، يستشعر الدفء عند ملامستها له، يغمض عينيه بنشوة أرض ترتوي بعد أن أهلكها الجفاف، كالدم في الوريد تسري داخل عروقه، تتسلل من أسفل قدميه متصاعدة، بوتيرة التقدم خطوتين والتراجع خطوة، يتقلص جسده تارةً وينتفض مشدوداً تارةً أخرى، حرارة عالية تصيب القلب، تلتف حوله وكأنها تحتضنه بعمق وتغادره بغدر ليبرد ويهدئ من جديد، تتصاعد نحو الصدر، الرقبة، وتعلو مسرعةً مسرعة، ترتطم بأعلى الجمجمة، فيصرخ متألما، صرخة مدوية، يسقط جاثياً على ركبتيه، يهدئ الألم و تستقر الحرارة داخل عينيه يفتحهما و هو يكاد يشعر بأن النار تنبعث منهما، حرقة بالعينين ودمع يسيل دون توقف، غباشة وتشويش في الرؤية يلها صوت منبعث من المجهول يردد قائلاً: ماذا ترى

تهدئ حدقتيه الحائرتين على ظلال أشخاص تلتف حوله بسرعة زوبعة، ترتجف عينيه وتتحرك حدقتيه بنفس السرعة، تلاحق الظلال تميزها، وتستقر في العدم من جديد. يسأل نفسه؟

هل هو مدرك أي رحلة تنتظره، هل هو مدرك للهلاك، مدرك لكل ما مر من هنا وهناك.

الصوت يتردد من جديد متسائلاً؟

ماذا ترى؟

ليعم صمته معلناً استيقاظه للمرة الثانية ؟

يفتح عينيه من جديد، ينظر للغرفة السوداء بتمعن

يقفز الطبيب الجالس أمامه على الكرسي ويمسك يده بفزع وهو يحاوره

قائلاً: أغمض عينيك وانزع الغطاء عن القوة التي بداخلك، انزعها كي تتمكن من الوصول إلى ما تريد

يجيبه وهو شبه تائه في ذكريات تتراءى أمامه:

هل شعرت لمرة أنك تقف بين حياتين وربما أكثر، هل شعرت بأن الموت داهمكَ مرات عدة، هل شعرت أنك داخل متاهة مفرغة الذاكرة؟

لا تعرف من انت ولا أين أنت، أخبرني هل جربت أن تغوص داخل قمقم مغلق تبحث فيه عن وجه تألفه أو عن بصيص أمل يفسر لك ما أنت عليه الآن.

قول لي أجبني هل جربت كل هذا.؟

يشَّدُ الطبيب على كفه و يقترب ليهمس في أذنه:

فكر بأن ما أنت عليه الآن هو من صُنعِ يدك، تذكر كل شيء وحاول أن تريُني كيف بقي قلبُكَ حياً نابضاً حتى الآن، أطلق لذاكرتك العنان، أرحل بروحك إلى ذلك المكان، وإياك أن تجعل الموت يندس بيننا.

ترتعش اجفانه وهو يحدق بالغريب مكملاً ما بدأه من حديث،

لا أعتقد أنك خضت هذه التجربة لذا لن تستطيع أن تشعر بالاختناق الذي أشعر به ولا حتى بالضياع ؟

لن تستطيع أن تبحث عن ذاتك، لأنك بداخلها؟

اما أنا تائه مبعثر بين هنا وهناك!

أمسك يدي رافقني في رحلتي لعلك توضح لي بعض الأحداث، لعلك ترسم لي خطوط الطريق، ربما قدري بين يديك وربما ساقك القدر لتجمعني بنفسي.

الطبيب : أنا هنا لأساعدك، أغمض عينيك و أطلب العون المتاح، فأنا معك، أنا اسمعك، أنا انت؟

يهدئ صوت الطبيب ولا يبقى سوى صوت نبضي و صوت خرير ماء بعيد بعيداً جداً.

أحاول إغلاق عيناي ولكن الأَسرةَ الزجاجية تحول بيني وبين النوم، أشعر بألفة اتجاه هؤلاء النيام، تتعلق نظراتي بالأجساد الأربعة وتتعلق بتلك الأنثى، تزداد ضربات قلبي، يزداد اضطرابي، برودة تسري في عروقي؟

أرى الطبيب يُحضر قبعة نحاسية مُفرغة تملأهُا الثقوب، وتمتد منها أسلاك كهربائية رقيقه الشكل، يضعها على رأسي ويصل اسلاكها إلى شاشة صغيرة ، كان قد قام بوضعها مسبقاً بجانب سريري.

سألته باستغراب: ما هذا الشيء ولما تضعه على رأسي.

أجاب وعلى وجهه ابتسامة صفراء حاول جاهداً اخفاءُها

هذه آلة قمت بصنعها كي أساعدك باسترجاع ذكرياتك

أغمض عينيك، استرخي، وحاول أن ترى ما واجهته.؟

لم استطع الرد عليه فقد أغمضت عينياي وأنا أراه يضع مصلاً ما داخل المحلول المعلق بذراعي، بدأت اهذي.

تلك الأسلاك المتحدة في القبعة و المحلول المعلق في يداي، اشعَرني بوخز في صدري، ألم لا أعرف سببه لكنه وخز فظيع، شعرت بالموت يقترب مني وأنا أرى تلك الأنابيب، فقد أيقظت شيئاً ما داخل ذاكرتي.؟

أنابيب متدليه، جثث معلقة، دم يملئ مكان ما،

أكاد أفقد وعيي، أشعر كأنني أجري نحو شيئاً ما، يرتجف جسدي من جديد ويهدأ مرة واحدة.؟

كظل، كروح هائمة، أجدُ نفسي على سفينة في عرض البحر، الماء يحيط بها من كل الجهات، البحارة مرتابون، يتساءلون؟

عن وقت وصولهم إلى الميناء.

يظهر من بينهم رجلاً يحاول تهدئتهم ويعدهم بالوصول القريب.

شك يملئ عيون الركاب اتنقل بنظري بينهم، جميعهم رجال أشداء يبدو أنهم اختيروا بعناية لمهمة ما، وبينهم عدة نساء تقفن في صف واحد، ثرثرة تعلوا وتنخفض فيما بينهن، هي تقف بينهن بيضاء مشرقة گ لؤلؤة سقطت في كومة فحم، ما اروعها و ما أرق خطواتها الثابتة

واثقة، رافعة الجبين، تتقدم مخاطبة ربان السفينة

هه متى سنصل ؟

لقد وعدتنا أننا سنرسوا منذ عدة أيام وها نحن عالقون وسط المحيط، لا ميناء قريب ولا يابسة تطل.؟

ينظر القبطان مجيباً على سؤالها؟

لقد اخبرتكم بأننا سنرسوا خلال أيام ولكنكم لا تصدقون كلامي اصبروا قليلاً وسترون.؟

نظرت له بتهكم وكأنها تخبره بأنه كاذب والتفتت عائدة نحو النسوة.

كان واضحاً بأنهم قضوا أسابيع طويلة و ربما شهور، في عرض البحر.

رأيت نظرات الشك والحيرة، رأيت تعهم وخوفهم، سمعت تمتماتهم المنخفضة و المتعالية بين الحين والآخر.

وقفت جانباً أراقب و أتأمل أمواج البحر وهي تضرب عرض السفينة، لون المياه أزرق داكن ويخيل إلي بأنه يميل للسواد، لم يعجبني ما رأيته فابتعدت عن الحافة وبدأت اتمشى على سطح السفينة.

لا أدري عما أبحث وماذا أريد وجل ما أراه قلق وخوف و ارتباك بين الرجال وهلع باد في عيون النساء، جميعهم ينظرون للشمس التي قاربت على المغيب.

ما سر هذا الهلع اقتربت من السيدة البيضاء

وسألتها:

ما بكم ولما هذا الفزع والارتباك؟

نظرت نحوي بريبة وشك قائلة:

ديبل هل أنت مجنون أم فاقد للذاكرة تسأل وكأنك لا تعرف وكأنك لم تعش معنا مأساة اليومين الماضيين.

نظرت لها محدثاً نفسي أنا حقا لا أذكر ما حصل و لا أعلم لما ذاكرتي قادتني لهذا اليوم تحديداً.

تلعثمت في إجابتي وقلت لها:

لا تستغربي سؤالي فأنا اعاني اضطراب في الذاكرة وغالباً ما تخونني ذاكرتي.

رمقتني بنظرة استنكار وادارت ظهرها لي بكبرياء و غرور وقالت وهي تبتعد ؟

أنتظر حلول الليل وستعرف ما يحدث عند الواحدة بعد منتصف الليل..

أسدل الليل ستائرهُ واجتمع الجميع على السطح.

بدأ الهرج والمرج و تفاقمت نظرات القلق بين الجموع، عيونهم لا تهدأ، يحدقون ببعضهم تارةً وتارة أخرى تتعلق نظراتهم بغرفة القيادة

دقائق ويطل قبطان السفينة بهيبة و جبروت، يشق شفتيه عنوة لتطل أسنانه الصفراء معربة عن ابتسامة أبعد ما تكون عن الطمأنينة، رفع يده عالياً واشاح بعدة وريقات صغيرة قد طويت بعناية فائقة

أشار بها للناس وهو يقول:

هذه عشرة وريقات كتب داخلها أسماء تسعة رجال وامرأة واحدة،

أعلن أسمائهم فاقتربوا وهم يرتعشون خوفاً بينما تنفس البقية الصعداء.

صعد الأشخاص المختارون نحو القبطان وجلسوا أرضا، بينما وضع القبطان الأوراق داخل كيس قماشي و أمر أحدهم بسحب ورقة منهم.

أخرج الرجل ورقة و أخذ يفتحها بيديه المرتعشتين وعينيه المحدقتين بالوجوه الخائفة، نظر نحو السيدة مخاطباً:

هذه المرة التضحية من نصيب النساء إنه اسمكِ يا سيدتي؟

سخطت به بشدة وشرعت تجري على ظهر السفينة.

جميعهم يراقبون فزعها ولكنهم صامتون هادئون وكأنهم ينتظرونها كي تتعب و تهدأ وحدها.

جلست على ركبتيها كأم ثكلى وبدأت تضرب وجهها بكفيها، و دون سابق إنذار وقفت بسرعة واتجهت نحو حافة السفينة محاولة ألقاء نفسها في المحيط.؟

أسرع بعض الرجال نحوها وجذبوها بعيداً عن الحافة، كانت تضربهم بقوة وهي تردد:

دعوني أموت الآن لا تُأجلوا موتي، تتلوى بين أيديهم گ حية تعض نفسها ألما، تصرخ بقوة وكأنها لا تريد سماع صوت يعلوا صوتها.

افلتت من بينهم و ركضت في محاولة جديدة للانتحار.

وَقَفَت في الجانبِ الاخر ونَظَرت نحو السيدة البيضاء وقالت لها:

لن أكون كبش الفداء لأحد، لن أموت لتحيوا انتم، سأقتلُ نفسي ولن ينفعكُم موتي بشيء.!

اقتربت السيدة البيضاء منها بسرعة البرق و صفعتها بكل قوتها على وجهها فسقطت أرضاً غائبةً عن الوعي بشكل كامل.؟

هذا ما يسمى جبروت امرأة، هذا ما يسمى البقاء للأقوى والأكثر حظاً ولكن البقاء لأجل ماذا؟

هذا السؤال بقي عالق داخل ذهني يبحث عن جواب.!

قام بحملها إثنين من الرجال وقيدوها فى سارية السفينة.

كنت أقف مراقباً بصمت محاولاً فهم ما يجري ولكن عبث لا شيئا البتة، وكأن ذاكرتي قد مسحت كلياً ولم يبقى بها سوى صورة السيدة البيضاء، التي بقيت واقفة تراقب الوقت، بينما جلس الجميع متكورين على أنفسهم، يرددون تراتيل و أدعيه مما يحفظون، شفاههم ترتعش بمضض و دقات قلوبهم تتسارع، خوف وانقِباض في الملامح. وجوه ملونة تشعرك بأن الموت قريب منك كقرب الرمش للعين.؟

من داخل غرفة القيادة، يعكس الضوء

ظِلّي القبطان و مرافقة، حركتهما مريبة، يسيران ذهاباً و إياباً، أحدهما يستمى برفع يده ناظر لها يبدو أنه يترقب الساعة.؟

يتغير الجو فجأة، الموج يتزايد ويعلوا مستوى المياه، يصدر عنه صوت بقبقة، فقاقيع تظهر على سطح البحر.

ينكمش الكل على نفسه، يضمون رُكَبهم لصدورهم أكثر، تستيقظ السيدة من إغماءاتها

وتبدأ بالصراخ والعويل، تتوسل، تناجي، تصرخ، ترفض، تعترض، تنكمش على نفسها تارةً و تنهار باكية تارةً أخرى.

ولكن كل ما تفعله لن يجدي نفعاً!

يخرج القبطان مسرعاً وهو يقول:

هيا أسرعوا إنها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.؟

يقف اثنان من الرجال ويشرعون في فك قيد المرأة التي دخلت في حالة انهيار تام وهي لا تزال تردد.؟

لا أريد الموت، لا أريد الموت

يحملانها عنوة ويتجهان بها إلى حافةِ السفينة

ينظُران إلى الأسفل وكأنهما ينتظِران خروج شيئاً ما لإلقائها بين فكيه.

تفوح رائحة عطرة و كأن البحر قد قام باستخراج العنبر من أفئِدةِ حيتانه ونشرها في الجو، المياه تبدأ بالفوران أكثر فأكثر، تبدو كقدر حساء يغلي دون توقف.

وفجأة يظهر كائن غريب له خمسة أذرع تشبه الأوراق إلى حد كبير، داخلها أبيض ناصع تملأه النقط الحمراء وخارجه مضيئ بلون أحمر دموي تملأه النقط البيضاء وفي اوسطه نتوء بارز للخارج، لو دققت النظر فيه جيداً لرأيت كائن يشبه لحد كبير (زهرة نجم البحر) ولكن هل هذا الكائن حيوان أم نبات هذا مالا يعلمه أحد، فقد فرش اذرعه بعد فوران طويل وارتفع النتوء الذي توسطه نحو الأعلى.

و في هذه اللحظة تحديداً، ألقى الرجال بالسيدة نحوه ليقوم الكائن بالتقاطها وإغلاق أوراقه أو أذرعه عليها، ليبدأ الفوران من جديد ويختفي الكائن، برهبته و رائحته العطرة داخل الماء.

يجلس الجميع بإعياء، يلتقطون أنفاسهم، يحاولون كتم خوفهم مما هم عليه ومما هو آتً.؟

كنت مذهولاً مما رأيته، أسأل نفسي: هل هذه التضحية للعبور بسلام؟

هل يعقل بأن هذا الوحش يحرسُ هذه المنطقة من المحيط ولا يحقُ لأحد عبوره دون تقديم أُضحيةً مناسبة؟

أيقنت بأن الرحلة ستكون شاقة وطويلة وبأني سألقى الموت في كل يوم و ربما سيكون من نصيبي بلحظة كهذه.

***

مرت أربعة أيام طويلة، كئيبة، تحمل الموت لأحدهم بنفس الطريقة ونفس التوقيت، في كل ليلة يخرج هذا الكائن ليلتقط الأُضحية التي تُختار بقرعة قررها القادةُ المُحصَنون،الجميع يَموت ولكن ماذا يفعل القادة؟

سوى الإبحار بنا نحو المجهول، نحو الهلاك الذي هم من يحددونه فقط.

قرارات كثيرة اتُخذت على متن هذه السفينة، يالها من سخرية ، هل ما أراه وما يحدث حقيقي، هل هذه السفينة تشبه الوطن الذي تركته.؟

قادة وسواسية تابعون، منهم من يتجسس على الرعية الخائفون و منهم الخونة المفكرين ومنهم من يحاول النجاة بنفسه ومنهم من يُحيكُ المُؤامرات لقتل القائد الذي آلت إليه أمُورهم وباتت حياتهم مرهونة بإشارة منه.

فضلت أن أكون وحيداً حيادياً في كل شيء، ليس خوفاً، وإنما حذرٌ وعدم اكتراث لما يحدث، وجُلَ ما كان يهمني من هذه الرحلة هو رؤية السيدة البيضاء تتبختر بمشيتها أمامي.

اليوم هو الخامس على التوالي أرى القائد مُرتَبك، يتمتم مع مساعده ويحدقان بالجميع، نظرات الخبث تبدو واضحة، يَشُدان على أيادي بعضهِما بمكر ويبتسِمان ابتسامة صفراء، اقتربتُ منهما لسماع ما يقولان؟

وفعلاً استطعت الاستماع لبعض كلامهما الذي صدمني جداً حين عرفت بأنهما مدركان لوجود الحيوان الغريب وبأن يوم الغد هو اليوم الأخير للجميع، حيث سيرمونهم من أعلى السفينة داخل فوهته والعودة من حيث أتوا؟

إذن هذا كان هدفهم ولكن لماذا علهم إطعام هذا الكائن إن لم يُريدان العبور ولماذا سيعودان أدراجهم، هل هي مؤامرة لجلب أُناسُ و زجِهم داخِلَ فوهة مخلوق غريب الهيئة، مجهول المصدر، استدركت غضبي ولجمت لساني، فكرتُ ماذا لو قتلتهما و توليت القيادة واعدتُ هؤلاء المساكين إلى بلادهم، وإن فعلت هذا ياترى سننجوا من فك ذاك الحيوان؟ و هل سأتمكن لوحدي من قيادة السفينة؟ ربما سأكون سبب هلاكهم بطريقة أخرى، ولكن لابد لي من المحاولة، ولا بد من إيجاد طريقة لقتلهما معا.

اتجهتُ نحو المطبخ، أبحثُ عن شيء ما سكينُ حاد أو ربما سمُ قاتلُ ازُجُه داخل طعامَهما المميز عن طعامُ البقية.

شرعت أبحث وأبحث وأنا في دوامة بين ما تفعله روحي الهائمة في ظل ماضيً أحاول تَذَكرُه، وبين ما حصلَ فعلاً في ذَاكَ الوقت، وقفتُ مكاني عندما شعرتُ بأن ما سأفعلهُ سيُغير مجرى الأحداث، سمعت صوتاءداخل رأسي يحذرني،

قائلاً: ليس عليك التدخل شاهد ما يحدث فحسب، لا تندفع وأبقى روح داخل روح تبحث عن الحقائق؟

شعرتُ حينها بأنني وبالرغم من مشاهد الدم و الموت التي رأيتها، شعرت بأنني لم أكن قاتلاً ولم أقتل أحد!

خرجت من المطبخ و قد قررت ترك العنان لروحي، بأن ترى، وتنفعل، وتفعل ما فعلته سابقاً؟

ذاك الصوت يحذرني من تشويه الماضي و المضي بما حدث فعلاً، فكيف لي أن أتدخل الآن، ربما كان علي أن أتدخل فيما مضى، في واقع ذهب وأنا أقف أشاهد بصمت، التدخل الآن لن يزيد الواقع سوى ظلاما و ضياع!

خرجت من المطبخ و كانت الشمس قاربت على المغيب، التوتر اليومي بادٍ على الوجوه ككل يوم، كل شخص يدعوا في سره أن يحيا ليوم جديد، كل شخص يتمنى إلا تكون نهايته داخل فوهة ذاك المخلوق الغريب.

يخرج القبطان معلنا اختياره للأشخاص الذين سيدخلون القرعة الأخيرة، نعم لقد أعلن بأنه اليوم الأخير للقرعة والتضحية وبأننا بحلول صباح اليوم التالي سنصل إلى الميناء.

وجوه تبتسم و وجوه مكفهرة و عيون تعلقت بالسماء راجية المولى بأن لا يكون اسمها قد اختير.؟

أُعلنت الاسماء وگ كل يوم صعد الأشخاص العشرة ليكون أحدهم الضحية، شعور الخوف يقل وكأنهم قد اعتادوا الأمر، غريب أمرنا نحن البشر نعتاد كل شيء بسرعة كبيرة،

حتى الموت والألم اعتياد.؟

تركت الجموع المحتشدة لمعرفة اسم الضحية الجديدة و اتجهت نحو إحدى الزوايا وقفت أتأمل الغروب، إنه غروب مختلف عما رأيته في الأيام السابقة، الشمس والقمر مجتمعان في آن واحد، كأن الشمس لبست ثوب السباحة و نزلت تبرد شعاعها داخل رقرقة الأمواج، بينما القمر يخرج منه لامعا وكأنه قد قام بجلسة برونزاج قبل دقائق، السماء حزينة كئيبة گعروس مات حبيبها قبل عقد القران بدقائق ترتدي ثوب السواد، ويختفي داخل غيومها آخر شعاع أحمر كان يضيئ جزء منها، ترتفع الأمواج ببطء وخفة ويعلو صوت ارتطامها ببعضها البعض حينا وحيناتهال ضربا بالسفينة.؟

لم اعد أميز أي الصوتين أعلى، صوت الموج أم صوت ذاك الرجل الذي يناجيهم للإبقاء على حياته، أيهما مخيف أكثر، الرعب داخل عيني ذاك الرجل، أم غضب هذا المحيط الذي يرفض أن يستكين!

غليان، فوران، فقاعات تتصاعد بشكل كبير، الرياح تركب البحر وكأنها تمد له يد العون لتدمير السفينة، كأنها تحمله بين كفها و تفصله عن القاع، أضواء خافته الكثير من الأضواء الخافتة، تظهر فجأة من أسفل الماء وتبدأ بالتصاعد تدريجاً، يزداد سطوعها لتشد انتباه كل من في السفينة، إنه الكائن الغريب يظهر بأعداد كبيرة، يحيط بالسفينة من كل جانب، يلتصق بها و يبدأ بهزها بقوة كبيرة،

لم يكتفوا بقوة الرياح و هياج البحر، بل الصقوا مجساتهم بها و بدأوا يحركون اذرعهم للأسفل والأعلى، لوهلة تشعر بأنهم سيحلقون عاليا في السماء، و أخرى تشعر بأنهم يجذبون السفينة نحو الأعماق.

بدأت أطراف السفينة بالتحطم والناس تزلق يسرى ويمنى، صراخهم يعلوا يحاولون التشبث بأي شيء تقع عليه أيديهم، خوف،بكاء، عويل، واستنجاد النساء بالرجال، هناك من يساعد وهناك من يفضل النجاة بنفسه، كنت أقف بجانب المرساة أمسكت حبلاً كان قريباً منها، رميت أحد أطرافه لماسة بينما أمسكت بالطرف الآخر، جذبتها نحوي واحكمت ربطها بالمرساة بينما ربطت أحد قدمي بالطرف الآخر، كنت انزلق على متن السفينة گ كورة البولينغ يضرب جسدي بكل ما تحتويه السفينة، بكل ما يتأرجح و يتساقط، استقر رأسي على أحد الأطراف، أصبحت أقرب لتلك الكائنات، أراها بوضوح، فوهتها أم فمها يصعد نحو الأعلى، يكبر ويتوسع وبطريقة ما يلتقط أجساد المتساقطين، رجل بطوله وعرضه يختفي داخل فوهة لم يكن محيطها يتجاوز فك أفعى مُؤلفة، كيف استطاع هذا الكائن الصغير ابتلاع هذا الحجم كله لم أفهم، كنت متفاجئ فاتح الفاه، جاحظ العينين، منفتح الحواس، أرى كل شيء بوضوح تام، واسمع صوت القبطان اللعين، ينعي حظه وهو ممسك بإحدى أطراف السفينة، يصرخ قائلاً:

لقد استيقظ قبل الموعد المحدد.؟

وددت أن أسأله ما هذا.؟

لكن الكائنات ابتعدت فجأة فسقطت السفينة وارتطم أسفلها بالماء وهدء كل شيء مرة واحدة، بينما ظن الجميع بأن كل شيء قد انتهى،

كنت أرى الكائنات تغوص اسفل السفينة بدأ ضوؤها يختفي رويداً رويداً في الأعماق، ودون سابق إنذار تتجه للأعلى بكل سطوعها وقوتها لترتطم بأسفل السفينة وتقذفها أمتار نحو الأعلى، كانت الصدمة أكبر من أي ردة فعل قد يقوم بها أحد، سقوط يرافقه تحطم، اختفى الجميع داخل دوامات كبيرة لا تفسير لوجودها سوى، فوهة الحيوان الذي يجذب لداخله الغارقون، أراهم يُلتهمون بكل بساطة، كنت قد أوشكت على الغرق، حين رأيت ماسة وبعض النسوة داخل دوامة كبيرة، دوامه تحيط بها الكائنات من كل ناحية، هل هي تحميهم، أم تعدُّ لنفسها وجبة كبيرة.!

أنفاسي تتقطع، جسدي ينهار تعباً، غثيان، دوار، و تركيز بات معدم، أشعر بأن جسدي قد تخدر، لمجرد لمسة خاطفة من ذراع أحد الكائنات. حاولت إمساك الحبل الذي يربطني بماسة ولكن الحبل تقطع و انجرفت لداخل أحدى الدوامات فاقد الوعي، مشلول الحركة.!

***

داخل الغرفة السوداء في الزمن الآخر حيث تتقيد الأجساد بأغلال من جلد غير قابل للقص أو الاحتراق، حيث يستلقي جسده داخل أنبوب زجاجي كالأموات.؟

هناك تحديداً في الوقت المراد حيث القمر يتوسط السماء والوقت تجاوز منتصف الليل بساعة.

نسمع صوت الطبيب المرافق يقول للآخر:

إنه يفارق الحياة، أسرع وهات الأنسولين و أداة الصعق الكهربائي، لا نريد أن نفقده و نفقد من معه أسرع هيا.؟

يرفع عنه الغطاء الزجاجي بينما الآخر يقوم بحقنه بالأنسولين ويجهز الصاعق لإحياء نبضه من جديد، يمسك بيديه أقطاب الصاعق و يقوم بتشغيله يقوم بتقريبهم من بعضهما فتصدر عنهما ذبذبات قوية، يبعدهما عن بعضهما ويقربهما على جسده وقبل أن يمسه يعود قلبه للحياة و

يعلو صراخ أنثوي بالقرب منهما

ينظران لها وهي قابعة داخل السرير الزجاجي، شبه عارية تعارك القيد الذي يلف معصمها، تجاهد في النهوض، تقاتل ذاك الظل القابع فوق رأسها، تنهض ناحيته بغضب والقيد يعيدها لمكانها من جديد.

ينظر الطبيبان لها عين بعين، تطيل النظر إليهما لا جفن يرتف لها ولا عين تغمض، تفتح فكها على مصرعيه، لتظهر أسنانها الشبيهة بنقط ماء قد تجمدت في مغارة حمراء اللون خالية من معالم الحياة، تفح فحيح الأفاعي، و تضرب رأسها في الزجاج، متمردة كأسد طرد من غابته، شرسة كأم تدافع عن أطفالها، مخيفة كصوت هسيس وسط ظلام دامس.؟

جسدها جثة متحللة بني اللون متفسخ اصابع قدمها حمراء اللون متأكلة جزئيا، ولو دققت النظر لرأيت ذرات بيضاء و حمراء تتجمع بينهما وتتنافر من جديد.

نظر الطبيبان لبعضهما ونظرا نحوها

أحدهما يقول و في عيناه حيرة.؟

لقد تغيرت هيأتها و تطورت

الآخر: هذا ما كنا نخشاه لا اعلم الى اي حد سوف تتطور الى اي حد سوف تتغير جيناتها هل ستتوقف عند هذا الحد ام ان هناك المزيد بكافه الاحوال علينا السيطرة على الوضع ومحاولة إيقافه الآن؟

تركا المريض الأول و اسرعا نحوها، أحدهما وقف يراقب تنافر الذرات والاخر يضخ غاز زهري اللون داخل الانبوب، تبدا بالهدوء تدريجيا واللون يصبغ على اماكن معينه في جسدها اصابع اليدين والقدمين وجزء من الرقبة قرب الوريد ولون خفيف تصعب ملاحظته ناحيه القلب.

يفتحا الانبوب ويقومان بوضع القبعة النحاسية على راسها ووصلها بشكل مباشر بالشاشة الصغيرة، تفتح الفتاه عيناها وتدق يدها بعنق احدهما يجاهد في الافلات منها ولكن قبضتها اقوى منه،

يقوم الطبيب الاخر بطعنها بحقنه داخل قلبها لتهدا وتسترخي بشكل كامل، تنخفض يدها تلقائياً وقد باتت أطراف أصابعها كمجسات مفتوحة قد ملأتها الدماء، يغلقا الأنبوب بسرعة ويبتعدان عنها.

كجثة هامدة دونما حراك تعلقت عيناها بالظل القابع فوقها.؟

يهبط الظل بوتيرة البطء الشديد يمد يديه نحوها، يلتصق بها و يتغلغل داخل جسدها.

الشاشة الصغيرة ترتجف بسرعة كبيرة صورة مشوهة،

صوت اشبه بخوار خنزير بري يخرج من جوفها محدثاً إياهم:

هل تظنان بأني قيد السيطرة، لا يا صديقي أنا لستُ حجر شطرنج تقومان بتحريكه كيفما تشاءان، أنا لست جندياً متراصاً ضمن صفوف المدافعين عنكم، ولست بئراً تشربان من فيض ماءه، احذرا مني فأنا كالقدر لا مفر لكما مني فلا أنتما قادران على تغييري ولا حتى على احتمالي، أبعدا هذه الأسلاك اللعينة عني واذهبا إليه فلعكم تجداني عنده.؟

ترتعد أوصالهما خوفاً و تزداد حيرتهما فيما يريدان فعله معها،

يتبادلان النظرات ويهمان في تخديرها،

عن طريق غاز يضخانه داخل الأنبوب المستلقية داخله.؟

تسدل اجفانها و قد بدا الدم واضح داخل حدقتها، تتثاوب بشكل طفولي تشد قيودها محاولة التكور على نفسها، ولكن عبث فالقيد مُحكم، و النوم أسلم لها ولمن يقفان يراقبان تحول ذاك الجسد الأنثوي إلى ذرات ترابية، أو دموية، وربماااا !.

يقطع صوت صراخه مراقبتهما لها.

اين أنا، أين نحن ، استيقظوا، قفوا،

هيه أنت يا من تسكن عقلي وتقتحم ذاكرتي، أين أنت.؟

يركضان نحوه وقد بدأ صفير الإنذار يملئ المكان من جديد، الصوت يعلوا أكثر وأكثر و جميع من في الأَسِرةَ يستيقظون، جميعهم يحدقون ببعضهم البعض، حالة من الفزع تصيب الطبيبين، ينادون بعضهم البعض بأسمائهم يتكلمون بتيه، تمتمه غير مفهومة، وبين صوت الإنذار و الصراخ والتمتمة، بسرعة وارتباك يقوم الطبيبين بضخ المادة المخدرة لهم، وتنييمهم من جديد، ولا يبقى سوى صراخه و بحثه عمن يكلمه.؟

يمسك أحد الطبيبين يده و بهمس يطمئنه قائلاً:

أنا هنا أفتح عينيك و أنظر حولك بتمعن وقول لي اين أنت ومن معك.

أرى نفسي ملقى على جزيرة و حولي جميع ركاب السفينة، لا ليس الجميع فأنا لا أرى سوى الرجال، جميعهم فاقدي الوعي ولا نساء بيننا لا نساء البته، اختفت جميع النساء و ماسة اختفت أيضاً

قف و أنظر حولك اريني المكان الذي أنت فيه، قف أكمل رحلتك و أنا معك.

جزيرة رمادية اللون خالية من أي نوع من أنواع الأشجار، جرداء مليئة بالفجوات التي نمت عليها بعض الطحالب البحرية ولكن هذه الطحالب غريبة الشكل فهي كأسلاك رقيقة تلتف وتتكور على فوهة الفجوات التي برز لها نتوء على أطرافها، موج البحر يداعب أقدام الرجال فيبدؤون بالحركة و كأن الماء يرد لهم أرواحهم، يفتحون عيونهم بتثاقل يتلفتون حولهم يرون فداحة المكان الذي وصلنا إليه يقفون واحدا تلو الآخر، يبدؤون بالدوران حول أنفسهم، حيرة، ضياع، خوف، ارتباك.

أعرف بأني أطيل الشرح كثيراً ولكن هل فكرت لمرة واحدة ما هي ردة فعلك لو وجدت نفسك عالق في مكان مجهول، غريب المعالم، هل أطلقت العنان لخيالك يأخذك حيث هم يقفون، أغمض عينيك واستشعر غرابة المكان، استمع لصوت البقبقة الصادرة من الفجوات ولصوت هدير البحر،

تقدم خطوة واحدة لتدرك أن ما تقف عليه ليس مجرد رمل بحري أو تراب أجِري، تنغمس قدمك بطراوة غريبة وكأنك تقف على قطعة اسفنجية تأخذ شكل قدمك، تحاوطها و تملأها برذاذ أبيض اللون بارد لحد كبير، يدغدغ ما بين الأصابع ويتراجع عائداً للخلف، هل شعرت بأن هذا الرذاذ يحاول سحب ما داخل جلدك للخارج، هل وصلك الإحساس؟ هل تخيلت المشهد؟ الآن أفتح عينيك و هيا بنا نرى أين نحن ذاهبون.

الجميع يشعر بالتعب والإرهاق يحاولون جر أنفسهم بعيداً عن الماء التي تلامس أقدامهم، كنت أنظر للبحر، على أمل أن أراها، حين كان الجميع ينظر للجزيرة وقد جَحَظت أعينهم وفتحوا أفواههم مشدوهين لما يروه، نظرت خلفي لأرى سبب دهشتهم،

قال أحدهم: هل نحن على جزيرة أم على سطح القمر

حقاً كيف لم أنتبه فعلاً هذه الجزيرة تشبه سطح القمر لحد كبير، لونها، الفجوات الموجودة هنا وهناك، ذات المشهد الذي نراه على شاشة التلفاز.

اجبت الرجل بامتعاض وهل البحر يحيط بالقمر

ضحك الجميع بسخرية وبدأنا نتقدم لاكتشاف ما قد وقعنا فيه، أقترب أحد الرجال من الثقوب محاولاً رؤية ما يحويه جوفها، فإذا به يبتعد فجأة وهو

ويقول: تعالوا أنظروا أن هذه الثقوب تبعث هواء بارد ينعش الروح.

تهافت الجميع يتحققون من جدية كلامه، كما

اقتربت أنا من أحد الثقوب القريبة مني،

وضعت يدي فوقها، فعلاً هناك هواء بارد، لوهلة شعرت بأن هذه الثقوب عبارة عن شفاه وفم يتنفس، نظرت داخلها فلم أرى شيئاً البتة، ظلام دامس يفصل ضوء الشمس عنها فلا أرى سوى الفوهة الكبيرة و أسمع صوت البقبقة تصدر ببطء شديد، شديد جداً.

تفرق الجميع عن بعضهم وكل شخص جلس بجانب فتحة، يحاول تخفيف حر الشمس عن نفسه،

جلست وحيدا أفكر أين اختفت ماسة وباقي النساء، هل نجت، أم تم التهامها من قبل تلك الكائنات، وطاقم السفينة لا أثر له

جميعهم قد اختلفوا، ولا أثر لهم في المحيط.

أقترب أحد الرجال وجلس بجانبي سانداً رأسه إلى تلك الفتحة

وقال: إنك تفتقدها أليس كذلك

لم اعره اهتمام و فضلت النظر نحو السماء على التحديق بوجهه البائس

لم يهتم لتجاهلي ونظر لي مكملاً كلامه

أنا أيضاً خسرت زوجتي و لا اعلم اين هي الآن، لم أراها حين تحطمت السفينة، لم أرها تغرق ولم يخطفها الوحش، لقد اختفت فحسب.

أجبته بحسرة حينها.

كذلك اختفت ماسة ولا أثر لها وطاقم السفينة اختفى، وهانحن عالقون هنا لا مأوى ولا طعام أو شراب، نحن عالقون في هذه الجزيرة الغريبة، عالقون دون مأوى أو ظل نستظل به

دون طعام أو شراب نبل ظمأنا به

صوت استغاثة بعيد يقطع حديثنا و تفكيرنا بحجم المأساة التي تنتظرنا. وقفنا ننظر للمحيط نحاول أتباع الصوت، فإذا بشخص يتخبط داخل الماء، غريق يستنجد ضارباً الماء بيديه وقدميه، يحاول دفع نفسه نحو الأعلى، لم أفكر و ركضت نحوه بأقصى سرعة، و ركض خلفي عدة رجال، خلعت قميصي و رميت نفسي داخل الماء ولكن السباحة شبه مستحيلة لا أستطيع التقدم، هناك شيء ما يسحبني للخلف، كلما جاهدت للتقدم اكثر قوة السحب تزيد وكان الجزيرة مغناطيساً كبيراً وأنا مجرد مسمار فولاذي صغير، سحبتني نحوها بكل سهولة وألقت بي على الشاطئ، الرجال في حالة صدمة مما يحدث فقد سحبتهم أيضاً ، وها هيا تسحب الرجل الغريق نحوها وترميه ببساطة على الشط.

أتعرفون ما يعني هذا

ربت الرجل على كتفي قائلاً : هذا يعني أننا ميتون هنا لا محالة لا طعام ولا شراب ولا وسيلة للهروب

نظر إلى الغريق متسائلاً،

أوليس هذا مساعد القبطان الذي دعانا للصعود على متن السفينة

نظروا له جميعاً و بصوت واحد رددوا: نعم إنه هو؟

تأملت وجهه وجسده المليء بالجروح والتقرحات الجلدية التي تنزف ببطء بسبب الماء المالح.

وقلت متسائلاً: هل هو من دعاكم للإبحار.

أجاب أحدهم: نعم أنه هو من زاد طمعنا و جشعنا بالمال، قال بأننا سنغدو أثرياء وسنحصل على ما نريد و أتى بشهود تشهد على روايته و شجعونا على المضي معه

هل فكرتم عن وجهتكم، هل سألتم أنفسكم لما سيدفع لكم هذا القدر الكبير من المال، هل سأله أحدكم ماذا يريد من رجال أشداء مثلكم وما غايته من عمل النساء، هل لاحظتم بأن النساء قد اختفين كلهن، أنا موقن بأن هناك لغز خلف ما يجري وهناك غاية من وجودنا هنا؟

لا تنظروا الي باستهتار لماذا نحن على هذه الجزيرة الغريبة، ولماذا جذبتني نحوها؟

كل ما أقوله لا يهمكم، أقسم بأنكم مخدرون منصاعون لا تفقهون شيئاً.؟

من قال لك أننا مسيرون لا مخيرون

نعم اعمانا طمعنا و جشعنا ولكننا مدركون بالخديعة التي وقعنا فيها والآن كل ما نفكر به جميعاً، هو الطعام نحن جياع وعطشى فهل لك أن تمدنا بالطعام و توقف ثرثرتك قليلاً

ضحكت مستهزئا ومفكراً في ذات الوقت، نظرت لمرافق القبطان والبحر والجزيرة ، نظرت لكل شيء حولي وقلت بهدوء

طبعاً أنتم لا تفكرون سوى

بالطعام والشراب، تعالوا معي سنحصل عليه، رافقوني الى المياه، علها تجذب لنا بعض المؤنة التي كانت على السفينة.

نظروا نحوي باستغراب و أنا

اتجه نحو الماء و أنزل به ببطء وحذر شديدين، بدأت أسبح وهي تجذبني للخلف كأول مرة أمواج البحر تتجه نحو الجزيرة بقوة ومع تقدم الموج وقوة جذب الجزيرة، رأيت بعضاً من حطام السفينة، الرجال تشجعوا عندما رأوا الحطام وبدأوا ينزلون واحداً تلو الآخر، ازدادت قوة الجذب وبدأ الحطام يقترب وصناديق المؤنة تقترب وهناك أشياء غريبة بدأت تظهر على سطح الماء، حاولنا السباحة و التقدم خطوات ولكن الجزيرة كانت تزيد في جذبنا نحوها، فقررنا الرجوع وانتظار المؤنة،

اقتربت الصناديق الملوثة بالأعشاب البحرية، فركض الجميع لانتشالها وسارعوا في فتحها، الصناديق ممتلأ بأنواع الطعام المعلبة والمثلجة و أنواع الفاكهة، هموا عليها وقاموا بالتهام ما بداخلها

كانوا يفتحون الصناديق صندوق تلو الآخر ويدقون العلب ببعضها البعض حتى تفتح، حاولت تحذيرهم و ارشادهم كي يقننوا في الطعام ويقسمونه على عدة أيام، لكن الجوع كافر، وليس له سلطان، اجتمعوا على الطعام، كسرب نمل يجتمع على حبة قمح، التهموا كل شيء في دقائق معدودة ولم يتركوا لي سوى فتات خبز مبتل سقط من أيدهم خلال العراك، لملمته بيدي وابتعدت عنهم قدر المستطاع، فإذا بالرجل يتبعني وبيده تفاحة خضراء، مدها نحوي قائلاً:

هذا ما استطعت أن اخبئه لك كُلها علها تسكت صرير معدتك الذي مزق نسيج أذني، أخذتها وبدأت ارمها لأعلى و التقطها بكفي، فإذا بمساعد القبطان ينظر نحوي، والى تلك التفاحة شعرت بأنه سينقض علي و يلتهمني، التقطها وأخذت منها قضمه صغيرة، صوت القضمة ايقظ النيام وشد انتباهه أكثر، استفاق من غيبوبته بشكل كامل، وقف بسرعة على قدميه واتجه نحوي ليختطف التفاحة من يدي بلمح البصر لم أستغرب تصرفه أو تصرف البقية فبعد ليل طويل ونهار كامل داخل البحر لا بد له أن يتضور جوعاً، لم أشعر بالجوع الذي يشعرون به رغم الصرير الذي تصدره معدتي إلا أنني أشعر بالشبع والارتواء التامين، نعم لا تستغربوا فبمجرد أن استلقيت على الجزيرة وبدأت تربتها تتغلل بين أطرافي شعرت بالشبع، ذاك الزبد البارد يروي جسدي بشكل غريب، أقترب منتصف الليل، وهاهو القمر يتوسط السماء و يضيئها بشكل مهر يعكس ضوئه على الفجوات التي تتزايد صوت بقبقتها، استشعر الهواء الساخن الذي بدأ يخفف من برودة الجو، يبدو أن الجزيرة تحافظ على حرارتها هواء بارد يخفف حدة الشمس نهاراً، و هواء ساخن يشعرك وكأنك تجلس أمام مدفأة في داخل بيتك، شعور غريب بالألفة بيني وبين هذا المكان، أشعر بالطمأنينة لمجرد الشعور بالدفء، كذلك الجميع متكورين على أنفسهم بجانب الفجوات يحتضونها وكأنهم بين أحضان أمهاتهم، جميعهم نيام وأنا الشاهد الوحيد على هذه الليلة.؟

الطحالب البحرية ترتفع بشكل عامودي تبدو كأعواد الخيزران المنتصب المتراقص مع صوت أنفاسهم، يتدلى نحو الأسفل بغنج عاهرات و يتسلل نحوهم ببطء شديد، يزحف كحية تتربص بفريستها ، تمسك أطراف أصابعهم وتحاول الالتفاف على أجسادهم، ابتعدت عن الفجوة التي أجلس بجانبها و بدأت ازحف ببطء شديد الطحالب تتجه نحوي تطارد حركة جسدي بخفة ارتعدت أوصالي خوفاً مما أراه و سارعت بالهرب بعيدا عنها

ولكن سرعان ما عدت فلا يعقل أن أترك الرجال نياما بينما تلتف الطحالب على أجسادهم سارعت في محاولة يائسة لإيقاظهم ولكنهم لا يلبون النداء لا يسمعون لا يستيقظون، سارعت بنكلهم واحداً تلو الآخر ولكن لا جدوى يبدو أنهم مخدرون مغيبون بشكل كامل، لم أجد نفسي إلا وأنا أحاول فك تلك الطحالب عن أقدامهم و غرزها داخل التربة الإسفنجية الرخوية، حاولت دهسها بقدمي بينما تحاول الالتفاف حولي ولكنها سرعان ما تتكاثر وتنمو، شعرت بأن الموت حليفنا هذه الليلة ولكن لن استسلم لها ولن ادعها تعتصر جسد أصحابي، اقتربت نحو الفجوة وبدأت أحاول اقتلاعها من الجذور، صوت أنين يشق صمت الليل يصدر منها، نبات يأن؟

ياللعجب ، الدهشة تصيبني والخوف مما أنا فيه يشتت تفكيري فتتراخى يداي عنها لأراها تتلوى كطير مذبوح و تعود ملتفة على نفسها مبتعدة عن الرجال، تاركة آثار حروق وندبات طفيفة على أقدامهم،

ويحنا أين وقعنا، و ويحنا مما ينتظرنا في أي جحيم سقطنا، يا إلهي ترفق بحالنا و أعنا على ما هو آتٍ، كم اود أن أعود من حيث جئت ليتني لم أولد ولم تقودني ذاكرتي اللعينة لهذا المكان، حيث أرى ضوء القمر يتزاوج بالبحر يغتصب ظلمته عنوة، يحيطه بهالة الكآبة يضطهده، ينكر حقه بالاستمتاع ببعض العتمة، بريق زمردي يجلجل أركان الجزيرة يمتزج اللون براحة العنبر المنتشر في الهواء، يتغلغل في أنفاسي، فيخيل إلي بأني ارتحل بروحي خارج الحدود، أطير محلقا، بجناحين من نار، يخيل الي بأن ماسة فريستي أحملها بين مخالبي اغرزهم في احشائها، مسافراً بها نحو القمر، لا أدري أهذه شهوة الحب أم غريزة الجوع الحيوانية التي تقض مضجعي، كسكير عربيد اترنح بين الرجال، أراهم امواتا، اشتم رائحة شواء لحمهم، ابتلع ريقي مستلذاً، أزحف نحوهم ككلب ضال اشتم أقدامهم، ألعق تلك الحروق، نشوة تعتري جسدي مما أفعله، نشوة ترتجف بين أوصالي تدب الحياة داخل أوردتي، قوة غريبة تتسلل لداخلي كهرقل رأيت نفسي وكل من حولي وجبات مؤجلة، امتلأت معدتي وقلبي استعاد نبضه المنتظم، ألقيت نفسي مستسلما فتضمني تلك التربة تتغلغل بين أطرافي تحتضني كطفل رضيع، استشعر الدفء فأغرس رأسي بين أحضانها وكأن تربتها نهديّ أمي أتنفس عبقهما و أدخل في غيبوبة الخيال.

استيقظت على ضجيج الرجال وحركتهم العشوائية، كانت الشمس تتوسط السماء والجو حاراً نوعاً ما، نظرت نحو الصوت فإذا بالرجال يلهون داخل الماء ضحكاتهم تملأ المكان، كأنهم صبية صغار يتقاذفون بالماء فرحاً و منهم من يسبح بعيداً وينتظر من الجزيرة أن تجذبه وتلقيه على الشاطئ، جلست أراقبهم بسعادة وانشراح،

حقاً مهما كبرنا يبقى بداخلنا ذاك الطفل الذي ينتظر خلوة ليطلق جنون الطفولة المكبوتة، جميعنا أطفال مهما كبرنا ولكن أرواحنا تهرم قبل أوانها، تثقلنا الهموم و تتلف خلايانا نعم هذا ما أراه في أجسادهم المترهلة رغم شدتهم و رجولتهم، التقدم بالعمر يقتحم عضلاتهم و الشيب يكسو بعضاً من رؤوسهم وأجسادهم، ولكن لما أبدو أنا مختلفاً عنهم، جسدي مشدود للغاية وشعري يكسوه السواد بدأت في العقد الرابع من عمري منذ أعوام ولا يزال الشباب متمسكاً بي أشعر بأنني أصغر كل يوم و لكن ما السبب لا أريد التفكير بهذا الآن والافضل لي أن انضم لهم.

اتجهت نحوهم متناسياً ما حدث ليلاً

لهوت معهم قليلاً ثم تركت جسدي يطفوا فوق الماء يعلوا مع الأمواج ويهبط تجذبه الجزيرة تارةً وتارة ترميه في الماء، استسلمت للاسترخاء متأملاً المياه، خُيلَ إلي بأنني رأيت عدداً من الكائنات الغريبة تطفوا حولي، فقدت توازني فجأة وبدأت السباحة باتجاه الجزيرة وأنا أتلفت خلفي لا أرى شيئاً البتة ولكني شعرت بوجودهم و ربما حتى الشعور كان خيال، رمتني الجزيرة فوق شطها كعادتها، فسارعت بالجلوس والتمعن بالمكان الذي كنت فيه.؟

أرى فقاقيع هواء تخرج باستمرار وهذا دليل على وجود شيء ما، نعم أنا متأكد بأن الكائنات لن تتركنا بسلام ولا بد من أنها هي ما رأيته عندما جذبنا صناديق المؤنة، ظهرت واختفت بسرعة للمرة الثانية ولم يراها أحد غيري، فلو رأوها لخرجوا من المياه فزعين ولكنهم لا يزالون يستمتعون بوقتهم متناسين ما هم فيه.؟

قاربت الشمس على المغيب وهاهم يخرجون واحدا تلو الآخر وكل منهم يقترب من فجوة محاولاً تجفيف نفسه، أقدامهم تنغرس داخل الأرض و الزبد الأبيض يظهر بين أصابعهم، يقفون متسمرين في أماكنهم كالأصنام ينظرون نحو الفجوة الكبيرة التي تتوسط الجزيرة، نظرت نحوها فإذا بثلاثة رجال يقفون حولها و قد جَرحوا أصابع أقدامهم، دمهم يسيل نحو الفجوة و هم واقفين ينتظرون شيئاً ما.؟

دقائق معدودة تمر والجميع يترقب ما يحدث، فجأة يصدر صوت بقبقة عالي من الفجوة ويتضاءل حجمها وكأنها فم بشري يُغلق شفاهه ويفتحها مرة واحدة، لتُلقي من جوفها كُتلٍ غريبة الشكل، سوداء اللون براحة السمك يجلس الرجال الثلاثة حول هذه الكتلة الرخوية ويبدأون بالتهامها بشراهة، شعرت بالاشمئزاز من منظرهم وهم يتناولون تلك القطعة السوداء اللزجة تبدو كلحم جيفة عفنة، ركض باقي الرجال نحوهم يريدون مشاركتهم الطعام و لكنهم لم يستطيعوا فالطعام لأصحاب الدماء فقط ولا يحق لغيرهم الاقتراب منها!

أشار أحدهم لأصابع قدمه النازفة وكأنه يقول لهم افعلوا ما فعلنا كي تحصلوا على الطعام، فهموا قصده ودون تردد انتشر الرجال كل شخص أتخذ لنفسه فجوة من الفجوات، الغريب بأن الفجوات كانت تعادل عدد الرجال دون زيادة أو نقصان باستثنائي أنا فليس لدي فجوة أقف عندها ولو كان لي لما وددت بأن أفعل ما يفعلون اكتفيت بمراقبتهم وهم يقفون كأعمدة رومانية وسط الصحراء، يعضون أصابعهم بمحاولة لجرحها وافتعال نزف، ياله من مشهد مؤسف يقتل الإنسانية المتبقية بداخلنا.؟

صوت البقبقة سريع، رتيب كدقات قلب طفل رضيع، تتوالى التقلصات في الفجوات تتطاير الكتل اللزجة، تعبق رائحة السمك في المكان، كُل منهم يلتقط حصته ويجلس منفرداً بالتهامها، الدم يزف ببطء منهم يتسلل نحو الفجوات تتنفس موتهم، تلتهم غرائزهم بحب الحياة، وماذا بعد.؟

يخيل إلي بأنهم يلتهمون جثث بعضهم البعض، ارسمهم في مخيلتي وهم ينتقون الجزء الطري من أجساد بعضهم ويغرسون أنيابهم فيها، هاهو مساعد القبطان، يستأصل كبد صاحبه و يمتص دمه بروية، تعلق قطع اللحم بين اضراسه، بينما الآخر مستلقيا على بطنه و قد همَ بالتهام فخذ صاحبه، وهناك أرى عدة أشخاص تكالبوا على أحدهم وهموا بانتزاع أعضاءه دون رحمة، مجزرة دموية تمر في مخيلتي بينما شبع الجميع وغطوا في نوم عميق، اشتم رائحة شواء من جديد فأهمُ قاصد وجبتي، أتحسس أقدامهم ألعق الدم المتيبس بين أصابعهم، تعود النشوة لي و احتضن نفسي من جديد واغط في ثبات عميق.؟

مرت الأيام بنفس الرتيبة دون زيادة أو نقصان ولكن أجسادهم بدأت تتضاءل و تظهر عليهم علامات المرض كنت مدركاً اختلافي عنهم فكلما ضعفوا ازدادت قوتي وكلما شاخوا أزداد شبابي وكأن جسدي يأخذ قوتهم لم أبالي في البداية و بقيت على ما أنا عليه والحقيقة ليس بيدي حيلة افعلها سوى الرضوخ لما يحدث، أدرك بأنهم أموات لا محالة وأنني ومساعد القبطان وهؤلاء الإثنين

الناجون الوحيدين، يبدو بأن لحمنا مُر ودمنا سُم لا تهضمه هذه الفجوات اللعينة.؟

نهار جديد يبدأ بشمس حارقة، الجو موبوء، مومياوات تجوب أركان الجزيرة، أعضائهم تتقلص بشكل رهيب، كتلُ متحركة تملأ أجسادهم وكأنهم ألتهموا أسماك حية، تسبح بين أعضائهم، تنال منها، تستهلك قوتها، وتبرحهم أرضاً من شدة الألم، يتخبطون يمنى ويسرى، تارةً يركعون على الأرض صارخين وتارة يركضون وكأن وحشا ما يطاردهم، جالس في مكاني أترقب نهاية معاناتهم، الموت حلفهم وأي حياة تنتظرني حين يرحلون، هل سأبقى برفقة المهجنين الثلاثة أم هم من حلفاء الموت أيضاً، أرجوا أن يموتوا جميعاً وأن أموت أيضا فلا حاجة لحياتي وحيداً في هذا المكان الملعون، المهجور، ممتص الدماء، منتهك الأجساد.؟

شارف هذا النهار على الانتهاء وها هي الشمس تعلن الغياب، يسدل الليل ستائره معلناً موعد العشاء، يقترب الجميع من الفجوات يلتهمون أصابعهم يقضمونها دون حس بالألم يتذوقون طعمها، صوت تكسير العظم بين أضراسهم يثير الاشمئزاز، يأكلون أصابعهم بنهم ولذة و دمهم يقسم إلى أجزاء يجري نحو فوهة الفجوات، ذرات متجلطة تتبع بعضها بعضاً و دون سابق إنذار يتحجر الرجال يمتد جسدهم نحو الأعلى، كصف جند يقفون باستعداد، مئات الرجال يقفون كالجثث المحنطة، أيديهم متراخية نحو الأسفل، وجوههم صفراء اللون، رؤوسهم منخفضة ينظرون نحو الأسفل، فاقدين الحس، فلاهم أحياء ولا هم في عداد الاموات، تخسف الأرض تحتهم و تلتهمهم واحداً واحداً، تبتلعهم، تمتصهم حتى تتجشأ الفجوات گ كهل أنهى وجبة دسمة بعد صيام طويل.؟

اختفوا جميعاً أسفل الجزيرة بعد أن امتصت آخر ما بقي فيهم من دماء،

ولم يتبقى سواي أنا وهؤلاء الثلاثة الواقفين قرب الفوهة الكبيرة في منتصف الجزيرة.؟

القبطان ومساعده و ذاك من يدعى تشارلز وهو من فقد زوجته .

اشاروا لي كل على حدة، حتى أقترب وانضم لهم، عيونهم تراقبني بنهم، طبعاً فرغم محافظتهم على أجسادهم، فأنا ازيدهم شباب وربما سأكون وجبتهم لهذا المساء.؟

شعرت لوهلة بأنني سأتحول لأشلاء بين أيديهم، اقتربوا نحوي بضع خطوات، وتراجعت بضع خطوات، نظراتنا تعلقت ببعضها وكل منا أمسك بطرف فوهة عندما شعرنا باهتزاز بسيط أسفل أقدامنا، الاهتزاز تزايد و الأرض باتت أكثر ليناً أسفل أقدامنا و بدأت بابتلاعنا رويداً رويداً، لا مجال للمقاومة، گ الرمال المتحركة بدأت بسبحنا نحو الأسفل أشعر بفراغ أسفل قدمي، معلق أنا بين سطح الجزيرة واسفلها وكذلك هم، عالقون كمن سقط من سقف منزل وبقي متدلياً، فلا هو قادر على الصعود ولا الفتحة تزداد لينعم بالسقوط، أقدامنا تتأرجح، أيدينا تستند على السطح في محاولة يائسة للصعود، أجسادنا تعتصرها هذه الفتحة اللعينة، توقفت عن المقاومة وسلمت أمري، استسلمت بشكل كُلي، عندها بدأت الفتحة بالتوسع وشعرت بأن جسدي سيتزلق لداخلها، وقبل ذلك نظرت نحوهم قائلاً بصوت عالي: استرخوا ولا تقاوموا..

وقبل أن أكمل كلامي سقطت منكبا على وجهي في باطن الأرض، باطن الجزيرة.

دقائق معدودة و سمعت صوت صراخهم و ارتطامهم بالأرض لم يكن الصوت قوياً فالأرض هلامية ولكن صوت صدى صراخهم كان كمن سقط من أعلى جبل شاهق الارتفاع،

كان كفيل بأن يجعل قلبك يتوقف من رهبته، أصوات عدة تتكرر وتعاد مراراً وتكراراً، يتوقف لثانية ويعاد مكرراً من مكان آخر، التفتنا حولنا نستكشف المكان، ظلام دامس ولا شيء سوى ضوء بسيط منبعث من أعلى، تقدمت نحوهم فقد كان الضوء قريب منهم

قال أحدهم "بصوت مهموس"

نحن أسفل الفوهة الكبيرة التي تتوسط الجزيرة تعالوا و أنظروا هناك خمس ممرات هنا ونحن اوسطها.؟

ما هذه الممرات و إلى أين ممكن أن تقودنا

القبطان: ربما علينا المضي قدماً و استكشاف ما فيها

المساعد: لا لا أريد التوغل داخلها وأفضل البقاء هنا

جان: ربما هناك نهاية لما نحن فيه في إحدى الممرات وأن لم ترغبوا بالتقدم ابقوا هنا وأنا سأدخل وحدي

نظرت للقبطان و قد تذكرت حديثه مع مساعده على متن السفينة

امسكته من رقبته بغضب وأنا أقول له

لقد كنت تعرف حقيقة الأمر منذ البداية، قدمت الأضاحي و رميت الناس للهلاك، والآن أريد معرفة كل شيء، تكلم لما نحن هنا وما هذا المكان.؟

القبطان (وهو يزل يداي عن عنقه) نعم لقد كنت أعرف وأنت تعرف و جميعنا هنا يعرف فلا أحد منكم يدعي البراءة، جميعنا مذنبون أيدينا ملطخة بالدماء و ما يميزك عنا في هذه اللحظة بأنك فاقد لجزء من ذاكرتك ونحن مجرد وهم خلقتنا لنساعدك.؟

وضعت يدي على رأسي أحاول اعتصار ذاكرتي اللعينة، أتأمل وجوههم استحضر أسماءهم هل أنا أعرفهم حقا أم أني أتخيل وجودهم، صوت داخل رأسي يخبرني بأن أهدأ

اهدأ استرخي وامضي في رحلتك هذا ما يحدثني به عقلي.

نظرت نحوهم و أشرت لهم بيدي لإحدى الممرات

قائلاً: سندخل هذا الممر ولنضع عنده علامة ما حتى اذا ما رجعنا لا نخطئ وندخله مجددا

تقدم القطبان و انتشل من حذائه الطويل، سكينا رفيعا صغير الحجم ، و افتعل جرحا على جدار الممر، وبمجرد أن غرز سكينه داخله حتى بدأ الضباب يتكاثف والضوء المنبعث من فوقنا يتضاءل، سائل لزج يخرج من الجدار وأي سائل هذا لا أدري ينقسم لجزئين اثنين أحدهما لونه أبيض و الآخر أحمر، بدأت حرارة الجو تعلو و رائحة العنبر تملأ المكان، شعرنا بضيق في التنفس و همننا بالجري لداخل الممر، كان مظلماً نوعاً ما، ينبعث من جدرانه المستديرة بريق خافت، كان يتزايد ضوؤه كلما توغلنا به أكثر، نسير نتلفت حولنا مقبوضة قلوبنا، مرتعشة اوصالنا، حذرة جميع حواسنا، صوت تنفس يتردد مراراً و كأننا دخلنا كهف حيوان ضخم ننظر ظهوره بأي لحظة، نترقب انقضاضه علينا، هذا ما يوحي له الصوت ولكن الممر خالي تماماً، يضيق بنا أكثر وأكثر قاربنا لنهاية مسدودة جدار

شديد البريق تكونت في زواياه خيوط رفيعة شبيهة بخيوط العنكبوت، اقتربت منها فاكتشفت أنها أنابيب دقيقة الشكل ويظهر داخلها نقط ماء صغيرة جداً تنحدر نحو الأسفل، مددت يدي محاولا لاستكشافها، فإذا بالقبطان يمسكني من يدي ويرمي بي بعيداً، سقطت على ظهري متألما، مستغرباً ردة فعله، وقبل أن الومه على فعلته صرخ بي قائلاً:

هل جننت إلا ترى أين نحن هل تريد هلاكنا؟

أجبته "ببرود"

وأين نحن يا ترى قول لي أولست من قادنا إلى هنا، أنا أحاول استكشاف المكان، أريد الخروج من هنا

القبطان: انظر فوقك أيها الغبي لتعرف ما أردت ايقاعنا به؟

رفعت رأسي نحو الأعلى لأجد جثث ملتصقة بالسقف و قد خرجت الأنابيب الدقيقة من افواهها وانوفها و آذانها، جثث بيضاء اللون كالأشباح لا حياة فيها، عيون غائرة، شفاه منسدلة نحو الأسفل، رؤوس دون شعر واجساد تحولت الى هياكل عظمية يكسوها جلد ابيض، أبيض كالثلج؟

أمعنت النظر في وجوههم وصرخت قائلاً: أنهم هم نعم أنهم من ضحينا بهم أنهم من قمنا برميهم داخل فوهة ذاك الكائن الغريب؟

نظر الجميع بإمعان نعم أنهم هم و مصيرنا كمصيرهم أن لم نجد باب للخروج.

سمعت صوت أنين يصدر عنهم، وقفت على رؤوس أصابعي ورفعت جسدي نحو الأعلى، لأرى الأنابيب الخارجة منهم تتعرق بشكل خفيف

وهذا دليل على أنهم أحياء.

صرخت بأعلى صوتي، أنهم أحياء، أنهم يتنفسون و فجأة فتحت الجثث عيونها لتحدق بنا و قد بدى بؤبؤ العين نابضاً بشكل رهيب، تعتقد عند رؤيته بانه سيخرج من مكانه ليبتلعك

اقشعرت أجسادنا من هول المشهد وهممنا بالرجوع من حيث أتينا، ركضنا بسرعة رهيبة نتعثر ببعضنا البعض، بدت المسافة طويلة طويلة جداً لنهاية النفق، أنفاسنا تضيق واجسادنا تتعرق، طاقتنا تسحب منا

وقفنا لنلتقط أنفاسنا فإذا بنا في ممر جديد، ابيض اللون ساطع تملأه الأنابيب الدقيقة، أنابيب بشكل دائري نسير عليها وهي فوق رؤوسنا ملتفته على بعضها البعض كشرنقة دودة القز، كانت تلتف وتلف على بعضها البعض، الممر يزداد سطوعاً وضيقاً، واقفين كالبلهاء لا نعي ما يدور حولنا مقبوضة أرواحنا، نسير بخطى حثيثة، حذر وخوف، قلوبنا على يدينا، شفاهنا تستجدي رحمة الألهة، توغلنا كثيراً والأنابيب تلتف من خلفنا وأمامنا، حرارة الجو بدأت تنخفض و نسمات باردة تلفح وجوهنا، نظرت لهم قائلاً: هاقد بدأ نهار جديد ومضى الليل بِشره وخوفه.؟

سألني القبطان: وما أدراك بأن الليل قد انتهى و أقبل النهار

أجبته: الهواء البارد هو من أخبرني

التفت جان نحوي وقد بدى الرعب على وجهه وهو يشير بإصبعه على شيء ما ؟

نظرنا جميعا باتجاه إشارته، فإذا بجثث ترتفع نحو السقف وتنخفض باتجاه الأرض والأنابيب تلتف عليها، كمسلة صوف تلتف حولهم تخيطهم تنسج حولهم مجموعة من الأنابيب، تختفي الجثث بداخلها يبدون كمن لف بكفن من حبال، گ كرة مطاطية يتدلون و يرتفعون و الأنابيب لا تزال تفعل ما تفعل وتخفيهم أكثر ثم تلصقهم بالسقف كأجنة مهجنة تنتظر الولادة.؟

بدأت الأنابيب تتحرك اسفلنا بمجرد أن أنهت مهمتها مع جميع الجثث المتراكمة فوق بعضها البعض، كانت تتحرك بهوادة وبطئ متصاعدة نحونا كأفاعي تتراقص على لحن ناي، تقترب من وجوهنا تتحسس بشرة وجوهنا و تشتم رائحنا گ كلب بوليسي، فوهتها تتوسع وتضيق گ فم يتنفس، شهيق بارد، يليه زفير ساخن، بعضها يحاول الالتفاف حول أجسادنا و البعض الأخر يتراقص أمام أعيُننا يحاول تخديرنا و تنويمنا وقبل أن تنقض علينا همننا بالهرب من جديد ولكن أشعر بشيء يلاحقني نظرت خلفي فإذا بمئات الأنابيب تتبعنا، تجري نحونا ، تحاول الايقاع بنا، تنحني تحت أقدامنا ترتفع وتهبط بسرعة كبيرة.. سقط تشارلز وسارعت الأنابيب في الالتفاف حوله، كفنته، دثرته بداخلها حتى اختفى أثره بشكل كامل، دقات قلوبنا تتسارع، نلوذ بالفرار وكل منا يحمل خوفه بداخله، لامجال للتوقف أو الرحة فرار مستمر داخل هذه الممرات ولا نلبث الخروج من أحدها حتى نجد أنفسنا داخل ممر جديد، أهذه متاهة أو أرض السافلين، هل دفنا أحياء، ام أننا مع الجن قاطنين، جحيم لا يطاق، الموت يحيط بنا من كل صوب فهل سننجوا أم أننا نجري في ذات المكان، لا أرى شيئاً، بل لا نرى سوى الأجساد المعذبة، والجثث الشبه حية.؟

هل رأيتم على مر حياتكم جثث حية، جثث تتنفس وتتأوه، جثث لا تملك من الحياة سوى رائحتها، أنا رأيت كل هذا و داخل الممر الرابع تحديداً حينما تعبنا وسقطنا أرضاً منهكين، رفعت رأسي بصعوبة لأرى أشد المناظر رعباً، كل ما رأيته في كفه ورؤية هذه الأجساد النائمة على مرتفع يشبه السرير بكفة أخرى.؟

أجساد صفراء، تملأها العروق والأودة السوداء، مقطوعة الأصابع، ممدودة اللسان، و بداخلها كتل تتحرك ببطء.؟

هل تتخيل بأن هناك أجسام تتحرك داخل اعضاءك ترتفع وتهبط، تسرع وتبطئ، وتحدث بالجلد تقرحات، وكأنها كُتَلُ نارية تكوي الجسد من الداخل ليخرج من الجلد دخان،انابيب تخرج من الاذنين والأعين والخاصرة ، وأنبوب مختلف اللون والحجم يخرج من الخاصرة، هل تتخيل أن يحدث هذا معك أو أن تراه أمام عينيك،

الدم يخرج من الجسد وينتقل منفصلا بلونين أبيض واحمر داخل الأنابيب التي تتصل بالأرض الهلامية ويختفي كل شيء داخلها!

إن تخيلت المشهد هيا قف معي وتقدم نحوها، حاول أن تلمسها.؟

اقتربت منها ومددتُ كف يدي ببطء تصحبه رعشة و خوف دفين، لمست برأس أصابعي وريد رقبة إحدى الأجساد الممددة، جثة باردة، باردةً جداً،

لا نبض فيها ولا روح، نظرت خلفي فإذا بالقبطان ومساعده يشيران لي بالتراجع وقد بدى الشحوب على وجهيهما، اشحت نظري عنهما وأنا أرفع يدي لي أتحسس النفس، رويداً رويداً قربت كفي من فم الجثة و قبل أن أشعر بشيء، بدأت الكتل تتدافع من سائر الجسد نحو الأعلى، نحو الفم، شعرت بأن شيئاً ما سيخرج من باطن الجثة ويسحبني لداخلها، تجمد جسدي لثواني معدودة، تسمرت في مكاني، مشدوه غير واعي لما يحدث، لم أشعر إلا بيد القبطان يجذبني للخلف و يصرخ بي قائلاً: أجري بأقصى سرعة، هيا أسرع

أمسكَ بيدي وبدأ يركض واركض معه و عيوني للخلف تترقب ما سيخرج من فم الجثة، كنا نبتعد عن المكان و لم أستطيع معرفة ما حدث، ركضنا و ركضنا كثيرا ودخلنا في جميع الممرات السابقة وخرجنا منها بسرعة، و أخيرا عرفنا أين الفوهة الرئيسية، مع اول شعاع للشمس توقفنا عن الركض واستسلمنا للتعب أسفل هذه الفوهة، حيث اسدلت الشمس شعاعها بعد غياب طويل، تراخت

أجسادنا تعباً و دون شعور منا استغرقنا في نوم عميق.؟

فتحت عيناي بتعب وأرق شديد، لا أدرك كم استغرقت من وقت في النوم، لكن الظلام كان حالكاً حولي وبالكاد استطعت أن أرى القبطان ومساعده، تحسست طريقي نحوهما بحذر شديد، كنت أتقدم بصعوبة بالغة فقد شعرت بوخز إبر تحت جسدي، زحفت متحاشياً وضع ثقلي بالكامل ولكن لا جدوى فلابد لي من ذلك لإدراك مكانهما،

تحسست جسد أحدهما و هززته بعنف محدثاً إياه

هيه هيه أستيقظ، أفق

فتح عينيه بتثاقل شديد وبدأ بالتثاؤب نظر لي وهو يفرك عينيه بكلتا يديه وقال:

ماذا تريد، ؟لما أيقظتني، دعني نائماً لا أريد أن أستيقظ دعني، دعني أرجوك.؟

أجبته بهمس: قُم يا صاحبي إلا تسمع صوت العويل القادم من هناك.

نظر لي و هو يحاول التركيز في الصوت نعم أسمعه، إنه صوت نساء تصرخ و تناجي.

قُم إذا لنرى ما هو.؟

المساعد: أيقظ القبطان ليذهب معنا فلست مستعد للتضحية بنفسي لأجل أحد.

ضحكت بسخرية منه وأنا أخبره.

الآن لست مستعداً للتضحية ولكنك ضحيت بالكثير من الأشخاص على ظهر السفينة، أترى ما يحدث لكم ولي، أقسم بأن السماء والآلهة تنتقم منكم لما فعلتموه.

المساعد: أتدري يا صاح إني لي أعذرك على كلامك هذا، ليس لأنني أحبك ومؤمن بما تفعله، بل لأنني أشفق عليك.؟

تشفق عليّ؟الأفضل أن تشفق على نفسك، فأنت من اقترفت الذنوب وأنت من ستعاقب لا أنا.

هَز رأسه قائلاً: سوف أيقظ القبطان الآن ولن أُجادلك بشيء فأجلاً أم عاجلاً ستدرك من انت ومن نحن.؟

تركني في حيرة من أمري وهَم بإيقاظ القبطان الذي بدأ يتقلب يميناً ويساراً و فجأة صرخ في وجهه و انتفض واقفاً على قدميه وبدأ يتلفت حوله.!

المساعد: ما بك ماذا جرى لك هل رأيت عفريتاً، أم مَسَكَ الشيطان.

القبطان: إلا تشعرون بوخز تحت أجسادكم إلا تشعرون بأن الارض تمتص دمكم، قفوا بسرعة ولنبتعد من هنا

نظرت حولي وبالكاد استطعت أن أرى أنابيب برأس متصلة بجسدي بالكامل و بجسد المساعد أيضاً، انتفضنا من فورنا واقفين لتتدلى الأنابيب منا وتعود ادراجها لباطن الأرض ، اختفت وكأنها لم تكن، تاركة علامات حروق و نزف بسيط في جسدينا،

تحركنا ببطء وحذر كما تعودنا، نستكشف سيرنا و نستمع لصوت العويل القادم من هناك، من ذاك الممر العطر، خطوت لداخله عدة خطوات حيث بدا لي ضوء خفيف ينبعث من الداخل، أشرت لهم بأن يقتربوا لنكون معا في حال تفاجأت بشيء مجهول كما في الممرات السابقة، سارا نحوي بخطوات مترددة مرتجفة

القبطان: ماذا ترى هناك

لا شيء سوى ضوء بعيد، اقتربا لنكتشف الأمر معاً

المساعد: أشعر بدوار و شديد واظن بأنني سأتقيأ

القبطان: حسناً أجلس وانتظرنا و نحن سندخل

أخبرته بأنه لابأس بذلك، أكملت مسيري وكان القبطان خلفي، ممسكاً بيدي كطفل يخاف أن يضل الطريق.؟

النور يزداد سطوعاً، والصوت يعلوا أكثر وأكثر، ورائحة العنبر تكاد تقطع أنفاسنا من شدتها، شعرت بحركة بسيطة تحت قدمي بينما القبطان قال: ألا تلاحظ بأن الممر يضيق بنا والجدران تتحرك نحونا.؟

وقفت مكاني وبدأت أركز فيما قاله، أراقب الجدران، أتأمل السقف، نظرت خلفي فإذا بالأنابيب تقف بحالة تأهب كأفاعي تنتظر الانقضاض على فريستها، شددتُ قبضتي على كف القبطان وركضت بأقصى سرعة هارباً مما رأيت، نظرت خلفي فإذا بها تمتد أكثر فأكثر متتبعة خطانا، هال المشهد هلع القبطان وبدأ يجري بسرعة تفوق سرعتي و بين الالتفاف للخلف والنظر نحو الأمام لم ندرك أنفسنا إلا ونحن نصطدم بجدار النهاية، نهاية الممر، كانت تفصلنا عن رؤوس الأنابيب عدة سنتيمترات توقفت في مكانها تتمايل، بمحاولة للوصول لنا، الممر يضج بالعويل والصراخ و رائحة العنبر ولكنه يبدو شديد البياض فارغ تمام ولا شيء سِوانا نحن وهذه الأنابيب التي تنتظر وقوعنا، تلمست الجدار خلفي فقد شعرت بهشاشته البالغة، فإذا بيدي تتخلله بسهولة بالغة، يبدو وكأنه صنع من شِباكِ العنكبوت ولكنها ليست شباك بل أنابيب هشة كأوردة البشر كرحيق زهرة تفتت وتناثر تتطايراً هنا وهناك، كانت رائحة عطرة مسك وعنبر ولكنه كأنه سم زعاف دخل رئتينا لنبدأ بالسعال، السعال الذي أوصل كلينا لدرجة الاختناق، بدأتا نتأرجح أرضا نستجدي بعض الهواء، تدحرجنا لداخل

الجدار مغتصبين ما تبقى من أوردة ، تتنشر الرائحة أكثر ونختنق أكثر نتقدم نحو الأمام نبحث عن منفذ للهواء غير أبهين بما حولنا و فجأة نرى برك مائية كبيرة ،

وضعنا راسينا بداخلها و قمنا بالغرغرة المتكررة لإنعاش حناجرنا ولنتخلص من ذاك الزغب الذي نشعر به يعتصر رئتينا، رفعنا رأسينا و ارتمينا ممدين ظهرنا ملتصق بالأرض و عيوننا تحدق بالسقف وأي سقف هذا، سقف تتدلى منه نساء شبه عاريات يتدلى من جسد كل سيدة انبوبان ممتدان لمكان آخر، تتبعت خط سيرهما و لكنهما أبعد مما تراه عيني.؟

سألت القبطان: ياترى إلى أين تتجه هذه الأنابيب.؟

القبطان: لابد أنهما ينتهيان عند مصدر الصوت، قُم لنرى

وقفنا وبدانا نتخطى البرك المائية التي تبقبق بشكل رتيب و صوت يزيد من رهبة المكان، كنا نتقدم والصوت يعلوا و فقاعات الماء تتزايد، مررنا بالتفاف طويل لنرى نساء أخريات بكامل قواهم الجسدية ملتصقون بجدار الممر، صراخهم يملئ المكان، وما أن رأونا حتى بدأن يطلبن منا تخليصهن، شعرت بفرحة عارمة حين رأيتها بينهن، ركضت نحوها غير آبه بالأنابيب التي تملأ المكان، لم أعد أهتم إلى أين تذهب وما الهدف منها، فرؤيتها حية أعادت لي الحياة، أمسكت بيديها وحاولت شدها بعيداً عن الجدار ولكن دون جدوى لقد كانت ملتصقة به بشكل كلي و شدها لم يزيدها سوى ألما وصراخاً، جلست على ركبتي بيأس فربت القبطان على كتفي قائلاً: انهض ولنستمر بالبحث فلا وقت لليأس أو الراحة.

أكملنا سيرنا وعيناي للخلف تراقبها هي والباقيات ،كُنَ جميعهن يحاولن إبعاد أجسادهن عن الجدار ولكنه كالمطاط كلما ابتعدن يرجعهن له ليلتصقن أكثر.؟

سارعنا سيرنا لنجد أنفسنا داخل النفق السابق حيث الجثث ملقاة على شِبهِ أَسِرةْ،وقد اختفت الأنابيب داخل الارض بالقرب من أجساد الرجال

ولكن كيف؟

أمسكت أحد الأنابيب وجذبته ليخرج من باطن الأرض، لقد كانت الأنابيب الخارجة من أجسادهم الرجولية هي نفسها المتصلة بأجساد النساء،

نظرت للقبطان ونظر لي وقد بدت الحيرة على وجهه!

جذب الأنبوب من يدي وبدأ يعود أدراجه وهو يمرره بين أصابعه.

سألته عما يفعله وبما يفكر

فأجاب: هناك خطأ ما وأشعر بأن هناك مخرجاً آخر لهذه الأنابيب، فاتصالها بهم ليس عبثاً وعلي اكتشاف السر.؟

عُدنا حيث النساء ملتصقة مروراً بالبرْكِ المائية وهنا اكتشفنا بأنَّ كنا ضللنا الأنابيب، فهي تمتزج وتتصل ببعضها داخل الماء داخل هذه البركة تحديداً، حيث يمتزج دم النساء بدم الرجال، و خلايا جسم غريب ينتج منه بويضات غريبة الشكل واضحة للعين داخل الفقاعات التي تخرج للسطح وتعود للعمق و تظهر في بركة أخرى، ركضت نحوها بسرعة، فرأيت داخل الفقاعة حيوان نجمي لا يتجاوز حجمه محيط خاتم صغير، عادت الفقاعة للقاع وظهرت من جديد في بركة ثالثة فإذا به يزداد حجما ويكبر شيئا فشيئا وكلما كبر حجمه كلما هزلت أجساد النساء والرجال فتنحل عنهم الأنابيب و تبدأ بامتصاص أجساد جديدة،

هل هذه دورة حياة هذا الكائن، هل هو يمتص الخلايا البشرية ليتغذى عليها ويتكاثر ولكن كيف، اقتربت من البركة الاخيرة التي يظهر فيها الكائن مكتملا، لقد كانت كبيرة جداً و قد تجمعت فيها اعداد هائلة من الكائنات المتراصة بشكل دائري داخل هذه البركة كانت اذرعها تنخفض للأسفل وتعلوا وفوهتها تفتح وتغلق، يبدوا أنها تسحب شيئا ما من داخل الماء، اقتربت أكثر لأراها تجذب بقايا الكائنات البحرية الميتة، نعم تجذبها وتمتصها متغذية عليها.

القبطان :تعالا وانظر هنا

اقتربت من مكانه

يا إلهي ما هذا؟

القبطان: هذه الكتل السوداء التي كانت ترمها الفوهات ونحن نتناولها

أنظر ما هيا سوى بقايا ما تأكله هذه الكائنات من عوالق البحر.؟

أدخلت يدي بالبركة المليئة بالفضلات وانتشلت قليلا منها لأتفحصها عن قرب، ولكن ما لبثت أن حملتها حتى شعرت بها تمتص يدي

صرخت وبدأت انفض يدي لإزالتها وأبعادها عني.

القبطان: الآن عرفت لماذا كانت أجسادهم تتضاءل.

نعم أيها القبطان لقد كانت تمتصهم من الداخل لتعود بهم إلى هنا فتكمل دورة حياتها، بامتصاصهم تدريجاً.

القبطان: ولكن كيف هذا ولماذا نحن الثلاثة بقينا على حالنا ولم نتأثر عندما أكلنا هذه البقايا النتنة.؟

قل لنفسك أنا لم أكل منها

القبطان: لابد وأن هناك رابط ما فيما بيننا

فعلاً هذا ما افكر به ولكن ما الذي يربطكما بكائن كهذا

القبطان: السر هنا في هذه الجزيرة علينا البحث لمعرفة الحقيقة

ها هذه جزيرة ؟وهل بعد كل ما رأيته تعتقد أنك على جزيرة

القبطان: ماذا تقصد وماذا ستكون أن لم تكن جزيرة

أنظر حولك يا صديقي أفتح عينك هذه ليست مجرد أنابيب وهذه ليست مجرد برك مائية حتى ما نقف عليه ليس تراب ليست أرض

القبطان إذا ما تكون

أنها الحيوان الأم الحاضنة لهذه الكائنات الصغيرة، أنظر هذه اوردتها أنظر كيف تمتص أجسادهم و تحللها كي يأكلوها، وهناك أنظر كيف تأخذ خلايا أنثوية وذكرية و تنتج بويضات من أصلها، نحن أمام حيوان يتكاثر من خلال امتصاص أجساد البشر والآن أيها القبطان عليك أن تعترف لي بكل شيء

القبطان بماذا سأعترف

أنظر أن لم تقل لي الحقيقة سنبقى عالقون هنا ومصيرنا كمصيرهم

القبطان: أنا لا أعرف شيئا وليس لدي شيئاً لأقوله

لقد سمعت كلامك على متن السفينة أنت و مساعدتك، سمعتكما تقولا بأن ما يحدث مخطط له وبأن رحلتكم ستنتهي بمجرد رميكم للناس في البحر، قول لي هل كنت تعلم بوجود هذا الكائن و لماذا تحضر له البشر ما الهدف من هذا كله، ما غايتك أعترف هيا

القبطان: "بصوت عالٍ"

لا أعرف شيئا لا أعرف لا أعرف اتركني وشأني

لا لن أتركك ولابد أن تقول لي كل شيء، أم أنك ترغب بأن تلفك تلك الأوردة و تحتضنك داخلها لحين انتهاءها من الباقين، أترغب أن تكون كأحد المستلقين هناك ينهش باطنك و يمتص دمك؟ أم تحب أن تتحول لخلايا متحللة غذاء لأطفال الأم، أم ماذا هيا قل لي كي نخلص أنفسنا؟

القبطان: أنا محصن وكذلك أنت ومساعدي لن يمسنا الكائن بسوء والآن علي أن أعود للاطمئنان على مساعدي. ركضت نحوها بسرعة، فرأيت داخل الفقاعة حيوان نجمي لا يتجاوز حجمه محيط خاتم صغير، عادت الفقاعة للقاع وظهرت من جديد في بركة ثالثة، تتبعها فإذا به يزداد حجما ويكبر شيئا فشيئا وكلما كبر حجمه كلما هزلت أجساد النساء والرجال فتنحل عنهم الأنابيب و تبدأ بامتصاص أجساد جديدة،

هل هذه دورة حياة هذا الكائن، هل هو يمتص الخلايا البشرية ليتغذى عليها ويتكاثر ولكن كيف، اقتربت من البركة الاخيرة التي يظهر فيها الكائن مكتملا، لقد كانت كبيرة جداً و قد تجمعت فيها اعداد هائلة من الكائنات المتراصة بشكل دائري داخل هذه البركة كانت اذرعها تنخفض للأسفل وتعلوا وفوهتها تفتح وتغلق، يبدوا أنها تسحب شيئا ما من داخل الماء، اقتربت أكثر لأراها تجذب بقايا الكائنات البحرية الميتة، نعم تجذبها وتمتصها متغذية عليها.

القبطان :تعالا وانظر هنا

اقتربت من مكانه

يا إلهي ما هذا؟

القبطان: هذه الكتل السوداء التي كانت ترمها الفوهات ونحن نتناولها

أنظر ما هي سوى بقايا ما تأكله هذه الكائنات من عوالق البحر.

أدخلت يدي في البركة المليئة بالفضلات وانتشلت القليل منها لأتفحصها عن قرب، ولكن ما لبثت أن لامستها حتى شعرت بها تمتص يدي

صرخت وبدأت انفض يدي لإزالتها وأبعادها عني.

القبطان: الآن عرفت لماذا كانت أجسادهم تتضاءل.

نعم أيها القبطان لقد كانت تمتصهم من الداخل لتعود بهم إلى هنا فتكمل دورة حياتها، بامتصاصهم تدريجياء

القبطان: ولكن كيف هذا ولماذا نحن الثلاثة بقينا على حالنا ولم نتأثر عندما أكلنا هذه البقايا النتنة.؟

قل لنفسك أنا لم أكل منها

القبطان: لابد وأن هناك رابط ما فيما بيننا

فعلاً هذا ما افكر به ولكن ما الذي يربطكما بكائن كهذا

القبطان: السر هنا في هذه الجزيرة علينا البحث لمعرفة الحقيقة

هل هذه جزيرة ؟

وهل بعد كل ما رأيته تعتقد أنك على جزيرة

القبطان: ماذا تقصد وماذا ستكون إن لم تكن جزيرة

أنظر حولك يا صديقي أفتح عينك هذه ليست مجرد أنابيب وهذه ليست مجرد برك مائية حتى ما نقف عليه ليس تراب ليست أرض

القبطان إذا ما تكون

أنها الحيوان الأم الحاضنة لهذه الكائنات الصغيرة، أنظر هذه اوردتها أنظر كيف تمتص أجسادهم و تحللها كي يأكلوها، وهناك أنظر كيف تأخذ خلايا أنثوية وذكرية و تنتج بويضات من أصلها، نحن أمام حيوان يتكاثر من خلال امتصاص أجساد البشر والأن أيها القبطان عليك أن تعترف لي بكل شيء

القبطان بماذا سأعترف؟

أنظر أن لم تقل لي الحقيقة سنبقى عالقون هنا ومصيرنا كمصيرهم

القبطان: أنا لا أعرف شيئا وليس لدي أي شيء لأقوله

لقد سمعت كلامك على متن السفينة أنت و مساعدتك، سمعتكما تقولان بأن ما يحدث مخطط له وبأن رحلتكما ستنتهي بمجرد رميكما للناس في البحر، قل لي هل كنت تعلم بوجود هذا الكائن؟ و لماذا تحضر له البشر ما الهدف من هذا كله، ما غايتك أعترف هيا!

القبطان "بصوت عالٍ"

لا أعرف شيئا لا أعرف لا أعرف اتركني وشأني

لا لن أتركك ولابد أن تقول لي كل شيء، أم أنك ترغب بأن تلفك تلك الأوردة و تحتضنك داخلها لحين انتهاءها من الباقين، أترغب أن تكون كأحد المستلقين هناك ينهش باطنك و يمتص دمك، أم تحب أن تتحول لخلايا متحللة غذاء لأطفال الأم، أم ماذا هيا قل لي كي نخلص أنفسنا

القبطان: أنا محصن وكذلك أنت ومساعدي لن يمسنا الكائن بسوء والآن علي أن أعود للاطمئنان على مساعدي.

أدار ظهره عائداً أدراجه للمكان الذي تركنا به مساعده، تتبعته وحاولت جاهداً إجباره على البوح بما يخبئه ولكن دون جدوى، كنت عالقاً في متاهة لا نهاية لها أحاول جاهداً حل لغز هذا الكائن، هل هو مخلوق تم اكتشافه أم أنه حيوان مهجن وأن كان قد تم اكتشافه لماذا لم يؤذيني واياهم كما فعل بالبقية وأن كان مهجن فمن قام بهذا الفعل ولماذا، ما الهدف من تهجين كائن بهذه البشاعة، أسئلة كثيرة تروادني ولا أجد لها إجابة، جميع الاجابات عند القبطان أو ربما مساعده نعم هو شريكه ولا بد بأنه يعرف كل شيء وما علي سوى استدراجه ومحاولة الوصول لكل شيء.؟

قطعنا الحاجز الأول ولم نجد الأنابيب أو بالأصح الأوردة التي طاردتنا في البداية لقد اختفت، ربما فقدت الأمل بعوتنا و عادت لتقوم بعملها في امتصاص أجساد من تحتضنهم، أكملنا سيرنا بصمت لا يقطعه سوى صدى صراخ النساء الذي يردد مناجاتهم، لقد كان صوتهم يصدح في أُذني وأكثر ما يؤلمني صوتها العالق بداخلي يعتصر قلبي، كنت أتمنى لو استطعت تخليصها ولكن خوفي من رؤيتها تتألم جعلني أتركها، نعم لقد تخليت عنها وخذلتها وهي بأشد الحاجة لي، لم أكن أعرف بأني أترك جزء من روحي خلفي، لم أدرك بأنني استغنيت عمن وهبتني حياتها لاستمر، أنا وغدُ كبير، لا أدرك حقيقة ما أفعله ولكني لن أكذب بأنني كنت أشعر بأن لي صلة بكل هذا الخراب وبخرابها ومعاناتها هي تحديداً دون الجميع.

أدركنا مكان المساعد وليتنا لم ندركه

كنت شارد الذهن حين انتهت للقبطان و هو يجري مسرعاً ركضت خلفه لأرى الأنابيب تُجر المساعد و القبطان يحاول إمساك قدمه وتخليصه منهم، نظر نحوي وهو يصرخ بي

أسرع وساعدني لننقذه هيا أسرع

ركضت بسرعة نحوه وبدأنا بشده بقوة ولكن للأسف الأنابيب أقوى منا سحبته من بين أيدينا وبدأت تلتف حوله وتحوله إلى ما يشبه شرنقة دودة القز، الآن ستحتفظ بجسده كمأونة لها.؟

جلس القبطان على ركبتيه وقد بدا الحزن عليه، اقتربت منه و وضعت يدي على كتفه في محاولة لمواساته ولكنه دفعني بعيداً وبدأ يلعنني.

لقد كنت متفاجئ، مصدوم به لا أعلم لما يلعنني بهذه الطريقة البشعة، لقد تخلى عني تركني وحيداً وعاد الى مكان البرك المائية، لم يعطني الفرصة كي أسأله عن أي شيء كان يجري مسرعاً بالابتعاد عني، وقفت لدقائق معدودة أحاول فهم ما يجري ولكن كالعادة أبقى عالقاً في متاهة الذاكرة المشوشة.؟

تتبعته بهدوء فلم يعد هناك ما يخيفني فقد بت أعرف ما ينتظرني في كل خطوة، الصراخ، الرائحة، انقطاع النفس، وأنابيب وريدية تظهر فجأة بجثة جديدة، لقد اعتدت الأمر وباتت خطواتي واثقة من سيرها ولكن مالم أكن واثق منه أو لم أتوقعه هو رؤية القبطان وهو يحاول بتر الأوردة التي تتدلى من النساء.

لقد جُنَ جنونه، أنه يقطع الأوردة تارةً و يضرب الكائنات في البركة تارةً أخرى، يصرخ بصوت عالٍ عليك اللعنة، وعلى اكسير الحياة، عليك اللعنة و على من كان سبب في وجودك، يصرخ ويضرب سكينه هنا وهناك، ركضت نحوه محاولاً تهدئته، ولكنه يدفعني من جديد، يرميني أرضاً وينقض علي، يضع سكينه على رقبتي، أغمضت عَيني مستسلماً، ولم يكن بيني وبين الموت سوى أجزاء من الثانية، عندما استقرت سكينه على حنجرتي لتجرحني جرحاً طفيفاً وتتوقف، فتحت عَيني لأرى القبطان مستسلماً، منهاراً و قد علقت على جفنيه دمعة أبت النزول.؟

لم أسأله عن شيء واكتفيت بإبعاده عني، وقفت على قَدمَي وأنا أشعر بأن الأرض تتزلزل وكيف لا تتزلزل بعد أن فعل ما فعله، لقد أذى الحيوان الأم وهاهي تنزف من كل مكان الأوردة تتخبط بشكل كبير، كخرطوم يضخ الماء بغزارة، هكذا كانت الأوردة تنزف والبرك المائية تفور وتغلي والفقاعات تتصاعد بشكل رهيب، والجثث بدأت تتساقط، واجساد النساء حررت من التصاقها، غضب عارم يحيط بنا ولا بد بأن هناك انهيار ما، شعرت لوهلة بأن هذا الكائن سينفجر كالبركان.

في هذه اللحظة أول ما جاء في ذهني أن أركض بأقصى سرعتي لاستعادة

فتاتي وفعلاً هذا ما فعلته ركضت تاركاً القبطان بانهياره العصبي، ونحيبه على مساعده.

جميع النساء على الأرض أجسادهن نحيلة، بشرتهن صفراء للغاية، مشلولات لا يستطعن الحراك، بهم نبض ولكن لا معالم للحياة على وجوههن، بحثت عنها بينهن ولكن لا أثر لها لقد اختفت، كُنت أدور حول نفسي ممسكاً برأسي، متأكد من أنها كانت هنا ولكن أين اختفت أين!

سمعت صرخة مدوية نظرت للأعلى

فرأيتها تتدلى من اعلى الممر والأنابيب تلفها و قد خرج من وريد سُرتها انبوب واحد يتجه لمكان ما، تتبعته بِعينيَّ لأرى مساعد القبطان معلقاً بنفس الطريقة و قد خرج أيضاً من سُرته أنبوب يتجه نحو الآخر ليلتقيا في محاولة للالتصاق ببعضهما

الآن فهمت لما هيَّ ومساعد القبطان بكامل قواهم وطاقتهم الجسدية.؟

صرخ القبطان من خلفي قائلاً: اقفز وانتشلها لا تسمح لهما بالالتصاق.؟

في البداية لم أفهم المغزى ولما يحدث كل هذا ولكنني قفزت مراراً وتكراراً حتى استطعت الإمساك بقدمها وجذبها نحو الأسفل و القبطان فعل الأمر عينه مع مساعده

سقطنا أرضا جميعنا ولكن هما كانا شبه مُخدرين، فاقدين للوعي الجزئي، أنه تعب المقاومة.

نظر القبطان لي قائلاً: شكراً للألهة على نجاتهما

سألته: وهل انتهينا هكذا و ما الذي كان يجري

القبطان: أن هذا الكائن ذكي جداً فقد أختار من أجسادهم قوية وخالية من الأمراض ليزرع جيناته بداخلهم و يصنع حيوان جديد، حيوان مطور عما هو عليه، حيوان لا يعتمد على أحد ليحضر له غذائه أو يمتص قدراته لإنتاج أعداد كبيرة من نسله.

سألته.: هل تقصد بأن كل هذه الجثث كانت للبحث عمن يستطيع زرع جيناته بداخله؟

القبطان : لهذا و لأجل شيء آخر نحن نبحث عنه وعلى مدى عصور حاولنا استملاكه و فعلنا كُل ما هو بشع للحصول عليه.

قاطعته: أنت تقصد أكسير الحياة أليس كذلك

القبطان: نعم أكسير الحياة الذي أوصلنا إلى هنا فجميعنا نريد الشباب ونسعى للأبدية و دون وعي منا وصلنا لهذا الكائن البشع، ظننا بأنه سيمتص الشباب والقوة من هؤلاء و بنا في أجسادنا، ظننا بأن هذه التجربة ستعطينا الحياة الأبدية والثروة. إذاً أنت من قام بهذا الاختراع و كيف أوصلت نفسك و أوصلتنا إلى هنا؟

القبطان: هذه الإجابات عندك أنت فأنا لستُ سوى نِرد تحمله وترميه داخل لعبتك هذه، أنا مجرد أداة، مجرد وسيلة للوصل و هذان المسكينان هما أيضاً وسيلة لوصولك لتلك التجربة اللعينة التي بدأها جدك و ها انت تكملها بطريقة أبشع مما فعل!

أنا....؟

أنا من فعل هذا حقاً ولكن كيف ولماذا.؟

القبطان: أنظر حولك جميعنا أرواح تعلقت بِك، جميعنا أمنا بحلمك وسلمناك أنفسنا، والأن أين أنت وأين نحن؟

أنا: من أنا لستُ أدري، تائه تماماً وكل ما أشعر به بأنني أبحث عن شيء قد فقدته بداخلي؟

القبطان: أبحث عنه و عُد بنا فجميعنا مقيدون بعودتك.

نظرت لوجه القبطان وللمساعد ولها، اعتصرت ذاكرتي، حاولت أن أعرف من هم ومن أنا نظرت حولي جيداً، أنابيب، جثث، ماء يغلي، دم يتحلل، كائنات تتكاثر، من لا شيء.؟

صور تمر أمام عيني، أرى نفسي بمريلة بيضاء، داخل غرفة كبيرة، مليئة بالأنابيب الزجاجية التي تحتوي سوائل مختلفة، قوارير بها أعضاء بشرية وربما حيوانية لستُ أدري، أشعر بصداع فظيع!

فتحت عيني لأجد نفسي مستلقياً وحيداً وسط الألاف من الجثث. جثث منتصبة القامة، تقف على شكل رتل يشبه الرتل العسكري، رؤوسهم نحو الأعلى، أجسادهم مهترئة، مترهلة، لا حياة فيها، مساعد القبطان و ماسه معهم والقبطان ممدد بجانبي و يبدو جثة هامدة لا روح فيها.؟

صداع يعتصر رأسي بسبب ما أراه، يهتز جسد الحيوان الأم (الجزيرة) تتزلزل وكأن أعصار يطيح بها، تخرج الأذرع الخمسة من تحت الماء ترتفع نحو الأعلى لتشكل سقف دائري، يبدو لي وكأننا حبسنا داخل كرة، يتدلى من سقفها أنابيب دقيقة تشق طريقها نحو الأسفل لتغتصب مؤخرة رؤوس الجثث وتبدأ بامتصاص ما داخل أدمغتهم.

***

الفصل الثاني

أنبوب ضخم يسحب جسد ماسة نحو الأعلى و بالجهة المقابلة لها يسحب أنبوب أخر جسد مساعد القبطان يرتفع جسديهما فوقنا و يخرج من سُرة كُل منهما أنبوب رفيع جداً يلتقي الأنبوبان في منصف السقف الدائري تماماً، حيث يتدلى أنبوب ضخم يشبه مجسات الأزهار له بوق كبير يخرج منه شعيرات ناعمة تتراقص بتمايل، يلتقي الأنبوبان الناعمان ويبدأن بالالتفاف على بعضهما البعض كثعبانان يستعدان للتزاوج، يلتفان صعوداً نحو الأعلى باتجاه البوق الشعري، الأنبوبان يرتفعان والبوق يتدلى أكثر فأكثر.

أراقب ما يحدث بتمعن، هنا جثث يخرج من رأسها أنبوب يمتص سائلاً ما صاعدا به نحو الأعلى و هناك ماسة والمساعد و انبوبان يبدو بأنهما يتزاوجان بطريقة ما، جينات تسحب من الجثث وتختلط في جسد الكائن الأم ليسحبها الأنبوب البوق المتدلي ليسحب ما يخرج من الانبوبان المتزاوجان

ترقبت كل شيء وفهمت الخطة، نعم الأم تحاول دمج الجينات كاملة و ضخها من جديد داخل جسد ماسة والمساعد، هذه لعبتها لخلق أكسير الحياة و إعادة الحياة لنفسها، تبث السائل بهم وتسحبه من جديد لتكون داخلها جنسين مختلفين، جنسين ينتجان أبناء لها و يبقيها على قيد الحياة.

وهذا ما لا يجب أن يحدث.

أبحث عن نقطة الضعف بها، يستحيل أن أجعلها تستحوذ على جسد ماسة يستحيل أن أضحي بها فهي كل حياتي.

هذا آخر ما فكرت به قبل أن يتملكني الغضب من فكرة فقدها للأبد، من فكرة بأنني أنا وأنا وحدي السبب في كل هذا،

سحبت سكين القبطان من حذائه و انطلقت راكضاً بين الجثث المنتصبة، شعرت بطاقة لا تحتمل بداخلي وقفت أسفل البوق وبدأت بالقفز، محاولاً الوصول لجسد ماسة ولكن للأسف كان جسدها أعلى من أن تمسه أصابعي وكان الحل الوحيد لإيقاف هذه التجربة، هي قطع الأنابيب الخارجة من الجثث وهذا ما بدأت بالقيام به فعلاء كنت أدور حولهم كالمجنون أقطع الأنابيب من خلف رؤوسهم واحداً تلو الآخر دون الاهتمام بأجسادهم المتساقطة أرضاً، و دون أن أنتبه للدم

المتساقط من جسد ماسة والأخر، لم أفكر سوى في إنقاذها، غضبي من نفسي يتصاعد و ذاكرتي بدأت تنفتح على ما غاب منها، غشاوة بيضاء تحيط بعيني تجعلني أشعر بدوار فظيع، الجزيرة الأم تتأرجح و فجأة تفتح أذرعها و تلقيني بعيداً.

أفتح عيني لأجد نفسي مقيداً على سرير داخل غرفة سوداء، ولا أرى سوى حائط تعتليه ساعة رقمية تشير للواحدة والنصف بعد منتصف الليل.؟

يعلوا صوت الإنذار مع أول حركة لي فيدخل شخصين يبدو أنهما طبيبان يتجه أحدهما نحوي مسرعا وهو يقول لقد استيقظ .

أقترب الطبيب الثاني مني نظرت له يبدو وجهه مألوفاً لي والآخر أيضاً أنا اعرفهما جيداً لكنني تائه و جسدي يؤلمني، أشعر وكأنني قد سقطت من أعلى جبل شاهق جسدي مشدود عظامي متيبسة أنظر حولي بضياع!

سالتهما أين انا ومن أنتما؟

الطبيب : لا تقلق أنت تحت رعايتنا وستكون على ما يرام قريباً.

ماذا حدث لي و لما أنا هنا اين البقية أين أين أين.....؟!

الطبيب: اهدأ ستتذكر كل شيء قريباً فأنت لازلت تحت تأثير الغيبوبة و عقلك لا يزال مشتت والآن أخبرني بما تشعر

جسدي يؤلمني جداً و أشعر أني اعرفكما جيداً

الطبيب: أنت تعرفنا حفاً ولكن سأترك ذاكرتك هي من تخبرك عنا

حسنا كما تشاء ولكن ما هذا المكان؟ أذكر بأنني كنت على جزيرة، لا لم تكن جزيرة بل كانت حيوان ضخم يمتص أجساد رفاقي.

الطبيب: يبدو بأن روحك سافرت في غيبوبتك لأماكن غريبة.

الاخر: لقد كنت تصرخ طوال الوقت وتهلوس بكلام غير مفهوم و حاولت التحدث معك أكثر من مرة لأفسر ما تراه لكنك كنت تصدني دائماً بقولك بأن الرحلة رحلتك وبأن ذاكرتك ستقودك للحقيقة.

هل حقاً ما يقولانه حقيقي؟ هل كنت هنا طوال الوقت وماسة والقبطان و كل ما رأيته كان مجرد كابوس أعيشه؟ عقلي مشتت وغير مصدق ما أنا به ، رفعت يدي اتلمس رأسي متسائلاً:

أين القلعة النحاسية التي وضعتموها على رأسي.؟

الطبيب:

أي قبعة نحن لم نضع أي شيء

بلا كان هناك قبعة تحاولون من خلالها استخلاص ذكرياتي و ترجمتها على شاشة هنا،

أشرت لموضع الشاشة فلم اجد سوى جهاز صغير يرسم خطوط القلب

نظرت حولي رأيت القبطان ومساعده و ماسة أيضاً، ممددين على أَسِرة ويفصل بيني وبينهم حائط زجاجي كبير.

سألت: كيف وصلوا إلى هنا ولماذا يبدون بهذا السوء

الطبيب: كل هذا أنت ستخبرنا إياه فنحن لا نعلم شيئاً أبدا

لقد بدلتم أَسِرتهم ألم يكونوا داخل أَسِرة زجاجية قبل الآن

الطبيب: أنظر يا صديقي سأوضح لك أمراً واحداً واتركك لتسترد عافيتك وحينها ستقص علينا ما جرى لنفسر ما تقوله الآن حسناً قل ما تريد.

الطبيب: لقد وجدناك داخل مختبرنا الخاص أنت و هؤلاء الأشخاص وقد كنتم في حالة إغماء جميعاً ثم دخلتم في غيبوبة ولكن جميعكم استيقظتم أكثر من مرة ويبدو بأن هناك شيئاً ما يربطكم ببعضكم البعض، حاولنا تفسير ما تقولون ولكن دون جدوى، المهم أنت تربط بين ما هو هنا وبين ما رأيته في غيبوبتك أو خيالك، ولتعرف الحقيقة فعلاً عليك أن تهدئ وتساعدنا في استرجاع الأحداث.

وماذا علي أن أفعل برأيك ايها الطبيب؟

الطبيب: لا ترهق نفسك كل ما عليك هو النظر لوجوههم و محاولة إنعاش ذاكرتك، والان سأتركك لو احتجت أي شيء ما عليك سوى الضغط على هذا الزر بجانبك.

تركني وحيداً وخرجا وها أنا وحدي من جديد أحاول استحضار الذكريات،نهضت من مكاني ونظرت إلى الملف المعلق على سريري.

الاسم: توماس جاك ديبل

العمر: خمس وثلاثون عاماً

التشخيص: فقدان جزئي للذاكرة، غيبوبة، هلاوس.

أعدت الملف لمكانه و اتجهت نحو الجدار الزجاجي الذي يفصل بيني وبينهم،

نظرت لهم مطولاً حنين يستيقظ بداخلي نحوهم لا أدري كيف اوصلتهم لهذا الحال كيف استطعت أن أُضحي بهم و جعلهم فئران لتجاربي اللعينة.

بدأت أتذكر شيئاً فشيئاً، كل ما مررت به في حلمي ما هو إلا تفسير لواقعي المُدري، تفسير لجبني وغروري، نعم لقد أردت الوصول للقمة دون أن تتلوث يداي ولكن لم أكن أعلم بأنها ستتلوث بدم أقرب الناس لي بدم من ساندوني و وقفوا بجانبي تراجعت للخلف وعينياي متعلقة بهم، جسدي يرتعش خوفاً عليهم ارتطمت بسريري فسقطت جالساً عليه نظرت ليميني فرأيت زر جرس الإنذار، ضغطت عليه وانتظرت دخولهما.

لم يتأخرا عليّ ودخلا بسرعة كعادتهما عندما يعلمان بأنني توصلت لشيء جديد، ارتسمت على وجهي ابتسامة عريضة تَنمُ عن الثقة المفرطة والغرور الفاضح، أنهما يعرفان هذه النظرة وهذه الابتسامة.

وقفا وعلى وجههما مزيج من السعادة والخوف، خوف مني وسعادة لعلمهما بأنني قد استعدت ذاكرتي، لم أنتظر أن يبدأ بالكلام وبدأت أنا،

دكتور جون و شقيقه العزيز دكتور جان كيف حالكما

د. جون: كما توقعت تماماً لقد استعدت ذاكرتك بسرعة مذهلة يا توماس.

توماس: نعم لقد استعدتها وارجوا ألا يزعجك الأمر كثيراً

د. جان: نحن نعرف بأنك لا تثق بنا ولكن أنظر لحالك ولحال رفاقك نحن من ساعدناك ونحن من قمنا برعايتكم لشهور عدة.

توماس: أعترف لكم بهذا والحقيقة أنا ممتن لكما أيضاً فرغم التنافس الذي بيننا لم تترددوا في مد يد العون لي

د. جون: "بوجه يملأه اللُئم"

رغم كل ما حلَّ بك لا تزال جبان مغرور ولكني مضطر لتحملك لحين إنهاء تجربتك و إنقاذ هؤلاء المساكين.

توماس "بتكبر واضح"

أنت لا تريد مساعدتهم بل تريد معرفة ما قمت به و ما سأقوم به.

د. جان "بوجهه البشوش المتفائل"

ولنفرض هذا ما نريده يا توماس، ما الخطأ في مشاركتنا تجربتك، سنتبادل الخبرات ونصل لشيء ذي قيمة فإن نجحنا معاً وإن فشلنا معاً.

توماس: هذه المرة لن استغل أحد و لن أكون انانياً، سوف اشارككما تجربتي لو استطعتما إضافة شيء لها وقبل هذا كله اجلِسا كي أقص عليكما ما حدث معي منذ البداية حتى الآن.

د. جون: تكلم كُلنا أَذانٌ صاغية.

توماس: لقد كنت في سن السادسة عندما رأيت حلم يجمعني به، لقد رأيته يحمل الكتب و يقرأها كالمجنون و يدون ملاحظات هنا وهناك، نظريات معقدة، احرف لاتينية، مثلثات، نجوم سداسية و زخارف غريبة لم أرى مثلها قط.

كنت أعتقد بأنه يرسم شيئاً ما وأن ما أراه هو بسبب شغفي بالرسم و خلافه من الفنون، تكررت أحلامي به لدرجة ظننت أني أراه في اليقظة، استرسلت الأحلام وتتالت وكان يزيد إيماني بأن شيئاً ما يربطني بهذا العالِم، عندما بلغت الثانية عشرة من عمري بدأت أرى صراعاته اللاهوتية مع أحدهم، رأيته وقد علا شأنه و كيف اعتقاداته جعلته منبوذاً ، كل هذا كان يجري سريعاً أمام ناظري وكأن هذا الشخص يريد توجيهي نحو اعتقادات معينة، صراعات دينية و أخرى اجتماعية فكل من آمن بمعتقداته وأعجب بما يقدمه تخلى عنه فجأة لم يكن بالإنسان الطيب بالنسبة لما رأيته ولكنني اعجبت به وبدأت اتقمص شخصيته، وبدأ ذلك التقمص يتطور حين سألت والدي عنه وطلبت منه إحضار مجموعته اللاهوتية المُسماة باسم كريستيا نوس ديمقريطس،

قاطعني د. جون قائلاً: هل تتحدث عن يوهان كونراد ديبل؟

أجبته نعم هو وقد تفاجئ أبي بمعرفتي به كما تفاجأت أنت وسألني مراراً وتكراراً كيف عرفته و كيف وصلتني معلومات عنه، أخبرته بأنني رأيته بأحلامي و قد أبدى انزعاجه وحذرني بعدم البحث عما كان يفعله أو إتباع أفكاره، ومنعني من مغادرة المنزل ظناً منه بأن أحد الرفاق خارجاً يبث في عقلي أفكاره، كما منعني من الذهاب إلى المكتبة وحيداً و بدأ بمراقبة تحركاتي كاملة، وأصبحت زيارة الكنيسة أسبوعياً طقساً مهماً في حياتي، في البداية لم أفهم ما يفعله أبي ولما هو متشدد معي لهذه الدرجة ولكن

حين علمت بفلسفة ديبل اللاهوتية و كيف تم طرده من مدينته، ستسألان كيف علمت كل هذا، سأخبركما و لكن صدقاني اعتقاداته الدينية لم تهمني ولم تأتي بأحلامي كما اتت تجاربه البشعة التي بدأت عنده واكملتها أنا،

عندما حاصرني ابي كل هذا الحصار، لانه قلب أمي عليَّ فأخبرتني بأن ما يفعله والدي هو مجرد خوف علي فلا يريد لصلة الدم التي تجمعني بهذا العالم أن تؤثر على معتقداتي و قالت لي بأن الأجداد يورثون أفكارهم لأبناء نسلهم، لم يقنعني كلامها أيضا فكيف لي أن أرث أفكار أحد قد مات منذ زمن بعيد، ولكني اكتشفت فيما بعد بأن للبشر قدرة التخاطر الروحي أو التقمص.

جان: هل تقصد بالتقمص انتقال الروح من جسد ميت لآخر حي؟

توماس: هو كذلك أو هذا ما نعتقد حتى الآن فلا توجد حقيقة واضحة المعالم أستطيع سردها لكم وجُل ما توصلت له هو عبارة عن أسئلة لا أزال أحاول الإجابة عنها.

د. جون: وماهي هذه الأسئلة؟

توماس: السؤال الأول هل حقاً الروح تبعث في جسد آخر حين يفنى الأول وكيف للروح أن تنبئ الجسد بذكريات عن جسده وحياته السابقة؟

السؤال الثاني يعتقد بأن لكل إنسان شبيه روحي أو قرين من الجن هذا القرين يبقى حياً ولا يموت حين يفنى جسد صاحبه و يعتقد بأنه يبحث عن جسد جديد يشبه قرينه الانسي ليندس به ويبدأ ببث ذكريات وأفكار قرينه داخل عقله الباطن!؟

د. جان: هذا نوع من السحر والشعوذة ولا أعتقد بأن هذه النظرية صحيحة.

توماس: النظرية تبقى قائمة حتى إثبات عكسها وهذا مالم اتوصل له حتى الآن.

د. جون: إذا والدك كان يعتقد بأن روح ديبل قد استحوذت على جسدك؟

توماس: لا أستطيع الجزم بذلك فقد كان والدي شديد الإيمان و هو يمقت ديبل بسبب أفكاره لمهرطقه على حد تعبيره ولإعادة ثقته بي لازمت الكنيسة لأعوام عدة كما لزمت الصمت نحو الأحلام التي بدأت تأخذ منحنى جديد في حياتي،

فحين رغبت بالتوجه لدراسة الرسم، راودني

حلم جديد، وكان هذا الحلم هو الفاصل في حياتي فقد رأيت ديبل وهو داخل مختبر كيميائي كبير و كنت أقف أمامه حين أخبرني بأنه وجد أكسير الحياة لكنه تحفظ عليه ولم يخبر به أحدا و

أخبرني بضرورة إعادة التجربة و إخراجها للنور، رأيت أبشع التجارب التي أجراها، حلم كامل كان يزرع خلاله داخل عقلي أفكار شيطانية، تجارب لا يحملها عقل بشري قد اشمأزت نفسي مما رأيت، ولكن عندما استيقظت قررت أن اكمل ما بدأه و توجهت لدراسة الكيمياء ولم اتوقف عند الدراسة بل بدأت البحث في كل ما توصل له العلماء و قمت بإعادة تجارب عديدة أذهلت أساتذتي كما أذهلتكم، وجعلت منكم أعداء لي ولكن لا أحد يعلم بأنني كنت مسيراً لا مخير، وكل ما توصلت له كانت أفكار أحد آخر، أفكار يستحضرها عقلي الباطن وكأنه ينتشلها من الجحيم.

د. جان: أنت تعترف بأن ما قمت به لم يكن تفكيرك أو اختراعك؟

د. جون: هذا الكلام غير منطقي فلا يمكننا تصديق روايتك هذه، أنت تحاول أن تضيع الحقيقة وتخشى الاعتراف بجرائمك.

توماس: سأخبركما بنظرية جديدة ربما أحد ما سيثبت صحتها يوماً ما

وهي نظرية تبث بعقلك الباطن افكار شخص قد أعجبت به فترى نفسك تنجذب لأفعاله وأتباع آرائه وأفكاره و تحاول حذو حذوهُ.

د. جون: كيف ذلك؟

توماس: مثلاً الأحلام التي كنت أراها جعلتني اتقمص شخصية ديبل و أبحث فيما بحث به لا بل تعمقت أكثر منه حتى بتُ مهووساً في إعادة تجاربه كاملة، لدرجة بأن اصدقائي بدأوا ينادونني باسمه.

د. جون: نظريتك قريبة للعقل بعد ما رأيناه منك.

توماس: أنتم لم تروا سوى نصف الحقيقة والنصف الآخر هناك خلف الجدار الزجاجي، داخل خلايا اصدقائي

د. جون: هل ستخبرنا بما فعلته بهم أم ستكتفي بعلاجهم مما هم به؟

د جان: العلاج لن يتم دون معرفة أسباب المرض فحتى الآن لم نعرف ما أصابهم وبالأخص تلك الشابة المسكينة التي تتضاءل يوماً بعد يوم.

توماس: ماسة هي أكثر من تأذى بتجربتي هذه لقد كانت عنيدة جداً و هذا أكثر ما أحببته بها، أما عن صَديقَّي فقد عانا ما يكفي بسببي، لم أكن الشخص الشجاع في تجاربي، بل كنت الأجبن على الإطلاق.

د. جان: قُل لنا ما جرى بالتفصيل و أخبرنا عما حدث داخل المختبر وجعلكم تدخلون جميعاً في غيبوبة.

توماس:

كما اخبرتكما سابقاً أنا شخص جبان ولم أكن لأجرؤ على قتل أو تعذيب أحد، كنت انتزع أعضاء واضيف أخرى و أستخدم مواد خطرة ولكن لم أكن أفعل هذا بالأحياء بل كنت أنتظر موتهم أو تخديرهم للقيام بذلك ربما ما فعلته أشنع من القتل ولكنني لم أكن لاحتمل صراخ أحد فالصراخ يفقدني صوابي ويجعل مني رجلاً خارج عن العقل اقول لكم بهذا الوقت سأقتل فعلاً لكن دون وعي مني و يمكن أن اؤذي المنطقة المرادة بقتلي العشوائي، القتل هنا يجب أن يكون بأسلوب صحيح حتى يستفيد الجلاد من الضحية ومن هنا بدأ دور اصدقائي الذين وعدوا وصدقوا وكانوا معي قولاً وفعلاً للنهاية كما تريان،

الشاب الضخم هناك يدعى كارلوس و الذي بجواره هو صديقه المقرب اريان مغربي الجنسية وقد أصبح صديقي فيما بعد، اريان يعتبر كارلوس أباه الروحي وذلك بسبب مساعدته له منذ وصوله إلى ألمانيا ويعتبر آريان تابع لكارلوس و مساعده في كل شيء، أما ماسة فقد تعرفت عليها من خلال اريان وهي أيضاً مغربية الجنسية وأتت بناء على منحة دراسية حصلت عليها خلال دراستها لعلم الأحياء في المغرب، واكتشفت فيما بعد بأن آريان وماسة لهما إلمام كبير في علم الماورائيات كما أنهما يؤمنان بوجود السحر والحياة الأخرى، وهذا ما جعلني قريباً منهما لحد كبير و خلال بحثي معهم في أحداث حياتي وقعت في غرام ماسة ليس لشدة ذكاءها فحسب بل لقوة شخصيتها و رقة قلبها، كانت هي أول امرأة أتعامل معها بعد أمي ولم أتوقع أن أجد الشدة واللين، القوة والضعف، الحنان والقسوة في امرأة واحدة، كانت شخصيتها معقدة جداً و قوية لدرجة تجعلك تنساق لرغبتها وأنت تبتسم!

د. جون: إذا أنت لم تعتمد في تجاربك على العلم فحسب بل دخلت عالم السحر؟

توماس: يقال بأن ديبل قد عقد صفقة مع الشيطان ليحصل على علم الحياة و هذا ما جعلني أتبع خطاه فكان لابد لي من التوغل في حياته أكثر ولا أنكر بأنني حاولت استحضار روحه أكثر من مرة ولكني فشلت.

د. جان:

إن ما تقوله ضربٌ من الجنون ولا يمكن لروح غادرت الجسد أن تعود، فالروح تفنى مع الجسد وينتهي أمرها.

توماس: هذا ما تعتقد و ماكنت اعتقده أنا قبل أن أعرف بأن الروح من نور و لا تفنى حتى أجلُ مسمى، لا تنعتني بالجنون فقد اكتفيت مما آلت إليه نفسي ولا تطلب مني توضيحاً فلست ممن يجيدون الشرح الطويل، باختصار الروح تبقى هائمة لتدرك مبتغاها وليس هناك علمٌ أو نظرية أكدت فناء الروح ولذلك كنت مقتنعاً بأنني أستطيع استحضار روحه والفشل الذي حصدته في الواقع، كان ناجحاً في الأحلام فقد استطعت التواصل معه عدة مرات في أحلامي وهذه المرة كانت أحلام أنا أردتها بشدة ولم تكن اقتحاماً منه لأحلامي وعقلي كما في السابق.

د. جون: "ببراءته المعهودة"

هل تقصد بأنك استحضرت روحه في أحلامك

توماس: نعم هذا ما فعلته بعد أن علمتني ماسة التركيز الطويل على ما أريده والتفكير به بشده إضافة لقد اكتشفت بفضلها أن من أراد شيئاً بقوة أمن بقدره للوصل إليه و فكر به بتركيز كبير وهنا يتم تخزين الرغبة المطلقة بالشيء داخل العقل الباطن الذي بدوره يتيح لأحلامك باستخراج بواطن الأشياء واستحضارها لمجرد التفكير بها قبل النوم.؟

د. جان: دعك من هذا كله ولتعود لصلب الموضوع، أريد معرفة ما قمت به من تجارب و هذا يهمني أكثر من علاقتك بأصدقائك وتضحياتهم العظيمة.

د. جون: لا تستمع لما يقوله أخي فالنتيجة تأتي من التفاصيل الصغيرة و طريقة التفكير هي باب دخولنا لطريقة العمل.

نظرت لدكتور جون بإعجاب فرغم ما يحمله وجهه من ملامح البلاهة إلا أنه أشد ذكاء من أخيه، ولأجله قررت أن أكمل حديثي بالتفصيل وأردفت قائلاً:

بدأت تجربتي الأولى باستخدام الحيوان الأليفة و قمت بدمج جينات أكثر من حيوان بجسد حيوان واحد، فكرت بأنني أستطيع خلق نموذج لحيوان متكامل، و منه سأستطيع تحقيق هدفي وهدف ديبل بالشباب الدائم او الحياة الأبدية، درست طريقة تحول بعض الحيوانات و غرازها وحاولت منع الكلب على سبيل المثال من أكل اللحم و الأرنب من أكل العشب، ولكنني اكتشفت بأن

تكوين هذا الحيوان يختلف عن ذاك بدءاً من شكل الأسنان انتهاء بدوره في البيئة. اكتشفت بأن التلاعب بالغريزة لا يجدي فحاولت نقل أعضاء حيوان لحيوان آخر مختلف و لكن هذا أيضا لا يجدي فسرعان ما كانت الأعضاء تموت وبالتالي ينفق الحيوان، فتوجهت لجسد الإنسان وحاولت اكتشاف كيفيه تطوره أردت أن أعرف لماذا يترهل جلدنا كلما تقدمنا في العمر وما سر تغير لون الجلد، تساءلت عن سبب التصبغات التي تصيب جلد العجائز، أسئلة حيرتني ولو اكتشفت سببها سأكتشف سر الشباب، بحثت طويلا في هذا الأمر، أحضر لي اصدقائي أشخاص مختلفين في لون بشرتهم قمت بحبسهم في أماكن مختلفة و حاولت تعريضهم لعوامل بيئية ونفسية مختلفة، كطريقة تعرضهم للشمس و نوع الطعام و الهواء فمنهم من كان موجود في مكان مناسب للحياة ومنهم من أسأت معاملته النفسية و جعلت سجنه جحيم، لقد عذبتهم بطريقة وحشية وكنت أكتب تقاريراً يومية عما يحدث لهم و بعد انتهاء تجربتي وتوصلي لما أريد، عرضتهم لأعلى درجات الخوف، لقد منعت الضوء عنهم بشكل نهائي و بدأت أبث لهم أصوات مخيفة و أذرع في عقولهم فكرة قتلهم بأبشع الطرق، كما كنت أرمي لهم بقايا حيوانات ميتة وتفاجأت ببعضهم يأكلها من فرط الجوع الذي سببته لهم، لم أوفر أي فكرة شيطانية إلا وجربتها، لا تتفاجأ فالغاية تبرر الوسيلة وهدفي كان نبيل رغم قذارة ما فعلته، استطعت استخراج مادة جديدة من خلال تعرضهم للرعب الشديد، مادة ينتجها الدماغ وهي مادة تعطي من يتناولها نشوة بالحياة وقوة في التركيز وكنت قد جربتها على كارلوس الذي بدا النشاط عليه و كانت نسبة تركيزه تختلف عنا عندما يتناولها ولكن مادة كهذه كانت تحتاج للتخلص من عدد كبير من البشر للحصول عليها و هنا بدأت أفكر في تجربتي الثانية وهي محاولة نقل روح من جسد حي إلى جسد آخر ميت، وهذه الفكرة كانت لديبل وقد حاول بها لكنه فشل و لم يترك أي أثر لتجاربه وحين حاولت استحضار روحه ليخبرني بما فعله فشلت، قررت الاعتماد على نفسي وإجراء التجربة عينها على عجوز حي و شاب ميت، حاولت نقل روح العجوز الذي لا فائدة منه إلى جسد الشاب الذي لم يرى من حياته شيئاً، كارلوس وآريان وكذلك ماسة جميعهم، قاموا بالتسلل ليلا إلى المقابر وانتشال جثة أي شاب متوفي وإحضاره لي، حاولت بكل الطرق من نقل دم وأعضاء إلى قيامي بالسحر والتعاقد مع أبالسة الجن، لم أترك طريقة لإعادة جسد ميت إلى الحياة، جعلتهم يقتلون ويهددون ويخيفون لأجل تجارب فاشلة، جميعها كانت فاشلة ولم يجدي ذكائي وذكاءهم نفعاً، كانت ماسة تعارضني بشدة واتهمتني بالكفر و بأنني أسعى لأكون إلهاً، رغم مساعدتها لي في التجارب الحيوية إلا أنها عارضت وبشدة

فكرة إحياء جسد ميت، واخبرتني مراراً وتكراراً بأننا نستطيع تجديد خلايا ميتة في جسد البشر بشرط أن يكون الجسد حي إنما إحياء جسد ميت من غير روح فهذا عمل الإله ومهما فعلت سأفشل، وفعلاً فشلت فشلاً ذريعاً.

وعدتُ كئيباً وابتعدت عنهم جميعاً، حبست نفسي داخل بيتي الكبير الذي كنت قد حولته من بيت إلى مختبر كيميائي وساحة لتعذيب البشر والحيوان، بقيتُ أسابيع عدة أتأمل ما فعلته وكيف حولت هؤلاء لجثث محنطة، جثث كثيرة تضاءلت و جف جلدها من تأثير المواد التي استخدمتها عليها. تأملت وتأملت و حاولت تجديد نظرياتي والتعديل عليها، استخرجت الأعضاء البشرية من الأنابيب التي تحافظ عليها و حاولت إحيائها بالكهرباء ولكن المواد كانت تحافظ علي سلامة مظهرها ليس إلا، كل ما فعلته وكل ما فعلوه لأجلي ذهب مع الريح.

د.جان:ما فعلته أشبه بمجزرة بشرية قُلت بأنك لم تقتل ولكنك في الحقيقة ارتكبت ما هو أكبر وأعظم من القتل و زججت أصدقاءك في ضلال تجاربك، ادخلتهم الجحيم و في النهاية تحاول تبرئة نفسك، هم فعلوا ما أردته أنت ولكن دون علم منهم بما تفعله فلا تتكلم بالترهات وتتهمهم عبثاً.

توماس: وكيف علمت بأنهم أبرياء؟

د. جان: أنت تتكلم وأنا أحلل ما سمعته منهم في غيبوبتهم، هلاوسهم جميعها كانت تدل على عدم معرفتهم بما تقوم به و تركوك وحيداً عندما رأوا منزلك الذي كنت تمنعهم من دخوله، اتهمتك ماسة بالكفر عندما علمت بما تفعله وابتعدت عنك حينها أما آريان حاول أن يبقى معك قدر المستطاع وساعدك في شيء ما وأنت تخفيه عنه.

توماس: يبدو أنك كنت تراقب الجميع بشكل جيد ولم تفوت اي شيء؟

د.جون:هذا ما فعلناه معاً ولن أخبرك عن مدى تعبنا ومعاناتنا في مراقبتكم و اخفائكم عن الأعين كل هذه الفترة.

توماس: أقدر ما فعلتماه ولهذا أنا أعترف أمامكما بما فعلته بهم وبغيرهم.

د. جان: إذا أكمل دون أن تحاول تبرئة نفسك فنحن الآن في صفك ولسنا ضدك على الإطلاق.

***

الفصل الثالث

أكمل وأخبرني ماذا حدث في الواحدة بعد منتصف الليل

توماس: ولماذا تسأل عن هذا الوقت تحديداً فهو بعيد كل البعد عما نتكلم به.

د. جان: لقد استفقت من غيبوبتك ثلاث مرات متتالية في هذا الوقت و ما رأيته من أحداث في غيبوبتك كان مرتبطاً به ولا بد بأن لهذا تفسير عندك

توماس: اولاً أنا لا أحاول تبرئة نفسي بل أريد تخفيف وطأة ما فعلته بهم وبنفسي، فلا تعتقدان بأنني مجرد من الإحساس لهذه الدرجة، أو أن القتل غريزة عندي، رغم أنني لا ألومكما مهما فكرتما بل ألوم نفسي التي اتبعت الشيطان واتبعت تلك الساعة التي بدأت تدق في عقلي باستمرار نعم كل ما حدث لي مذ كنت في السادسة من عمري مرتبط بالواحدة بعد منتصف الليل تحديداً، فأول حلم لي كان في هذا الوقت وأول تجربة به أيضاً وانتشال الجثث من المقابر كان في الواحدة بعد منتصف الليل وكأن هذا الوقت هو موعد استيقاظ الشيطان الذي يبث أفكاره في عقلي، تخيلوا أن أصدقائي تسللوا لمنزلي في الواحدة بعد منتصف الليل أيضاً

حينها كنت أقوم بتجربة جديدة لاستحضار روح ديبل، قمت برسم النجمة السداسية وإشعال الشموع والبخور كما فعلت ماسة قبلاً كنت أقرأ التعاويذ اللازمة لاستحضار الشيطان وأنثر دمي وأدور حول نفسي كالمجنون، لم أكن أتوقع مداهمتهم لمنزلي بهذا الشكل، رأيتهم امامي فجأة وعلى وجوههم علامات التعجب ظنوا بأنني جننت، حاولوا ايقافي ولكني طردهم من منزلي و اتهمتهم بالتخلي عني، آريان رفض المغادرة وأصر على مساعدتي في استحضار الروح كما حاول اقناع ماسة بأن تساعدني أيضاً لكنها رفضت وتركتني هي وكارلوس، وقف آريان فوق رسم النجمة

وجرح معصمه ليسقط الدم على رؤوس النجمة الست ثم نام فوق النجمة وهو يردد تعاويذ غريبة لم أسمع عنها قط وفجأة رأيت دخاناً يتصاعد من جسده وبدا لي بأنه يحترق، خرج منه صوت جهوري يخبرني بأن أكمل ما بدأته وألا استسلم رأيت شيئاً ما يتحرك داخل جسد آريان، وكأن كتلة دائرية تتحرك بخفة ريشة داخل جسده، جُن جنوني من هول المنظر وما آثار رعبي حركة رأسه يميناً ويساراً بشكل جنوني وهو يصرخ متألما وقفت عاجزاً لا أعرف ما عليَّ فعله و فجأة دخلت ماسة وبيدها قارورة ماء بدأت برشها على جسده و هي تردد كلام غريب عني كلام عربي لا أفهمه ولكن جسد آريان هدأ بعد ما فعلته و بدأ يستعيد وعيه، وقفت كالمعتوه وأنا أرى ماسة تساعده على النهوض وهي ترمقني بنظرة مليئة بالعتب و خيبة الأمل، أخذتهُ وخرجت دون أن تتفوه بكلمة واحدة، كان كارلوس ينتظرها خارج المنزل، و عندما رآها تخرج وهي تمسك ب آريان أتجه نحوها بلهفة وخوف ليسنده أليه و يسألها باستغراب عما جرى له، نظرت نحوي ونظرت لكارلوس وكأنها تخبره بأنني السبب، رفع يده على رقبته ليشير بطريقة التهديد بقتلي في حين حصل لآريان شيئاً و ساروا مبتعدين عني وهم يرمقوني بنظرة لا تشير للخير أبدا.

كانت هذه المرة الأولى التي أشعر بها بأني قد خسرت كل شيء،

لا أدري حينها لما جعلتهم يرحلوا ولم أنطق بحرف واحد واكتفيت بمراقبتهم وهم يرحلون بغضب،؟

د. جان: إذا كيف عادوا إليك بعد هذا و لماذا.؟

توماس: بعد أن غادروا دخلت منزلي من جديد و كانت رائحة البخور تملأ المكان، بدأت بإزالة الرسم عن الأرض و فجأة ودون إدراك مني وقفت بغضب وبدأت أُلقي كل شيء على الأرض، كسرت القوارير و دهست الأعضاء تحت أقدامي و قمت بتحطيم

الجثث المحنطة، كنت أكسر وأحطم كل ما تقع عليه يدي، حتى البشر الأحياء الذين اخفيهم و لا زلت أقيم تجاربي عليهم قررت إنهاء حياتهم، لم تعد التجارب تعنيني ولم أعد أهتم ب ديبل وتجاربه المجنونة، لقد اكتفيت من استحواذه على تفكيري، اكتفيت من فكرة إعادته للحياة، اكتفيت منه وأردت أن أكون أنا ولو لمرة واحدة في حياتي.

د. جون: كنت تخفي بشرا على قيد الحياة داخل منزلك.؟

توماس: لا أريد التحدث في هذا الآن فقد تعبت واحتاج لبعض الراحة، اتركاني لوحدي .

د. جان: سنتركك و نذهب ولكن قبل أن نفعل ذلك، أريدك أن ترى شيئاً.؟

تعال رافقني.

توماس: إلى أين.؟

د. جان: إلى الغرفة الزجاجية، أريدك أن ترى جسد ماسة عن كثب، وتفكر في طريقة لعلاجها فقد تأذى جسدها بشدة ولم نعد نستطيع علاجها بطريقتنا.؟

دخلنا نحن الثلاثة إلى الغرفة، كنت أنظر إليهم واحداً تلو الآخر بتمعن و أسف، اقتربت من سرير ماسة و رأيت انبوبا يخرج من فمهما، يبدوا أنهم وضعوه لسبب ما اجهله، لمست جبهتها وبدت باردة جدا كجبهة ميت،

سألتهما: ما بها ولماذا جسدها بارد لهذه الدرجة

د. جان: الأمر ليس ببرودة جسدها فحسب بل في التقرحات التي تملأه، أنظر لأصابع قدمها كيف تتفسخ و لتقرحات التي تملأ جسدها.

توماس: يا إلهي ما هذا كله، كيف وصلت لهذا الحال.؟

د. جون: أعتقد بأن جسدها قد تعرض لصدمة ما وبه خلل يفوق الخلل الذي أصاب البقية.

توماس: اتركاني وحدي معهم و سوف أجد حلاً.!

هزا برأسيهما و خرجا.

تركاني وحيداً معهم كشفت عليهم جميعاً ورأيت أجسادهم المتقرحة في أماكن متعددة ولكن التقرحات بدت في أماكن معينة، بشرتهم صفراء شاحبة و باردة بعض الشيء، وضعهم مذري للغاية ولكن حالة ماسة كانت أكثرهم سوءاً.

فبالإضافة للتقرحات كان هناك أجزاء من جسدها زرقاء اللون وتميل للسواد، بدأت اضغط بأصابعي على هذه البقع الداكنة لعلها تتغير أو لعلي اكتشف سبب تغير لونها، كان مكانها قاسي الملمس متيبس نوعاً ما، بدأت ادلكها بيدي فبدأ الجلد يتفتت وكأنه قشرة جوز يابسة، نظرت حولي فرأيت سكيناً بحجم الإبهام رقيقة كورقة، احضرتها و بدأت افتح الجلد بها رويداً رويداً، في البداية بدا الأمر كتكسير قطع ثلجية ثم بدأ الجلد يبدوا أقل قساوة و تماسكاً، فتحت جرحاً عميقا، لاكتشف بأن الدم قد تخثر في هذه المناطق، لم يكن هناك أجهزة مجهرية تساعدني في رؤية سبب النزف أو مصدره ولذلك بدأت بعلاج التقرحات، كنت اتنقل فيما بينهم وألوم نفسي، لقد ندمت ندماً شديداً عما فعلته بهم، وبدأت أحدثهم معتذراً، شعرت بأنهم يسمعون صوتي و لا أدري هل هم يشعرون بي ويسمعونني فعلاً أم يُخيل إلي ذلك، أسرعت في إزالة الدم المتخثر وسارعت للتأكد من قدرتهم على سماعي، أمسكت يد ماسة وطلبت منها أن تضغط على يدي في حال سماعي، انتابني شعور غريب لا أستطيع تفسيره، خليط من الفرح إلا متناهي يرافقه الكثير من الألم والندم وشوق

يعتصر قلبي الذي يكاد أن يكسر اضلاعي ويخرج منها ليحتضن تلك الكف الصغيرة التي تشد على يدي معلنة سماعها لصوتي، لا أدري كم من الوقت بقيت أراقب أصابعها وهي تشد وترخي مع كل سؤال اسألها إياه، ضغطات متتالية تسحب لُبَّ عقلي وترميه خارج رأسي، لم أكن أتوقع بأن فتاة مجرد فتاة تفعل بي كل هذا، كنت أنظر إلى وجهها وكأنني أراها للمرة الأولى، واشتهي عِناقها كأني ساراها للمرة الأخيرة، ولكن إلى متى سأظل واقف في مكاني لا بُد أن اتركها وارى كارلوس و آريان ، فعلي معرفة ما إذا كانا يسمعانني أم لا، تجاوبا معي بشكل سريع وكأنهما كانا ينتظراني،؟

حدثتهم قليلا وحاولت إنعاش ذاكرتهم ببعض الأمور الغبية التي كنا نفعلها معاً في منزل ماسة، لا أدري كيف بدأت اقص عليهم ترهاتنا وهفواتنا أثناء العمل، لقد كانت أشياء غبية ولكنها مضحكة، أذكر أول جثة أحضرها كارلوس، لقد كانت جثة امرأة ماتت خوفاً، وقد كانت ملامحها المتيبسة مضحكة للغاية، كنت اتذكر كيف أمسكها كارلوس و بدأ يهدئ من روعها وكأنها لاتزال حية، ضحكنا جميعاً على يفعله واتهمناه بالجنون، آه يا كارلوس ليتك تعود وتقول تلك النكات السخيفة و تتصرف كالأبله من جديد لطالما أحببنا روح الدعابة فيك، فرغم كل ما نفعله من رعب كان يضحكنا ويخرجنا من جو العمل الجاد.؟

لمحتُ ابتسامة خفيفة على شفاه كارلوس، ابتسامة أعادت لي الأمل باستيقاظهم، اقتربت منه وشددت على معصمه وأخبرته بأن كل شيء سيعود كما كان، طمأنتهم بأنهم سيعودون للحياة و غادرت الغرفة متجهاً نحو سريري، ألقيت بنفسي عليه، كان الهدوء شديداً جداً شعرت بأنني منفصلاً عن العالم كله، أغمضت عيناي مسترخياً، سمعت صوت تكتكه بسيطة تك، تك، صوت يشق الهدوء فتحت عيني فرأيت الساعة الرقمية وقد اقتربت من الواحدة بعد منتصف الليل، سرت القشعريرة في جسدي و شعرت بأن شيئاً ما يقيدني، بدأت أختنق وتشتد أعصابي مع

كل دقيقة تَمُر، نظرت نحو الجدار الزجاجي الذي يفصلني عنهم، فخيل إلي بأن أرواحهم تهيم فوق أجسادهم، رفع الغطاء عني وبدأت أراهم بوضوح، كل شيء غريب وخارج عن الطبيعة يحدث بعد منتصف الليل، كل ما هو تحت الأرض وفي غياهب المجهول يبدأ بالتحرك معلناً تمرده بعد منتصف الليل، تجتمع الأحلام التي تحملها أرواحهم وتهيم بها تحلق خارج جميع الأسوار، هل هذه الظلال أرواح أم أقران من العالم الآخر، أم أنها أرواحهم من الزمن السابق، رغم جميع محاولاتي الفاشلة في نقل روح من جسد إلى جسد إلا أنني لا أزال مقتنعاً بأن الروح تسكن أكثر من جسد في أزمنة مختلفة ربما هي تسكن جسد جديد ولكن هل تسكنه مذ كان جنيناً في رحم أمه، أم بعد أن يبلغ من الكبر أشده، قطع تفكيري هواء بارد مرَّ من أمامي، نظرت حولي بالكاد أرى ظلال أرواحهم تهيم حولي ولكني أشعر بوجودهم، أيقنت بأن النائم كالميت بلا روح، الروح تغادر جسدها تبحث عن مبتغاها ليلاً وتعود عند الاستيقاظ، لهذا نحن نحلم ونشعر بالأحلام وكأنها حقيقة ليلاً، بينما نُجهَد ونشعر بالتعب لو رأينا أحلام في وضح النهار، تحليلات سخيفة ولكن بها شيئاً من الصحة فليس هناك عقل يفكر في شيء دون سبب، وربما لهذا السبب تحديداً كان ما رأيته من أحلام داخل غيبوبتي مقتصراً على الليل، جميع الأيام المشرقة كانت تمرُ مرور الكرام ولا أشعر بها بعكس ما يحدث ليلاً، الليل والليل فقط من يكشف خبايا أرواحنا، نحن عراة أمام الليل، مجردون من التفكير منقادون من غير وعي، نتصرف بالفطرة، ردة أفعالنا لا إرادية، أقوالنا تخرج من عمق أرواحنا، نحن في الليل حقيقيون غير مدنسين بنجاسة الفكر و الجسد، الأن أدركت بأن الروح تبقى طاهرة نقية والجسد هو من يُذنب هو من يفعل هو من يتبع وسوسة إبليس ويسلم نفسه للأثم.

قطع صوت الباب سلسة أفكاري، أنتفض جسدي رعباً وشعرت كأنني سقطت من مرتفع شاهق العلو، استفقت من خيالي وتحليلاتي عند دخول د. جان الغرفة كان وجهه مشرقاً على غير عادته وقد لاحت على شفتيه ابتسامة بسيطة.؟

د. جان: صباح الخير، أرجوا إلا أكون قد ايقظتك أو تسببت في إزعاجك

توماس: لا أبدا جئت في وقتك تماماً و أرجو أن تذهب وتحضر جون لأكمل لكما ما بدأته

د جان: ولكن ماذا عن أصدقاءك هل وجدت طريقة لمعالجتهم.

توماس: لا تقلق سوف يتحسنون قريباً جداً

يدخل د. جون دون أن ينادي عليه أحد

د جون: صباح الخير، كيفك حالك د. توم هل تشعر بتحسن هذا الصباح

توماس: إني بأفضل حال، تعال وأجلس هنا لأكمل لكما قصتي.

د جون: أريد معرفة سبب وجود بشر أحياء في مختبرك ولماذا اخفيتهم وما نوع التجارب التي اجريتها عليهم

توماس: هيه لا تزال فضولي و صاحب ذاكرة قوية.

د. جان: أضف إلى ذلك اهتمامه بالتفاصيل الصغيرة

توماس: رغم العِداء الذي كان بيننا إلا أنني كنت معجب بذكائه هذا و اهتمامه بالتفاصيل الصغيرة فهي بداية الطريق و طريقة الوصول إلى ما نبتغيه و حل أي معضلة مهما كبرت تجده داخل أصغر التفاصيل.!

د جان: أتفق معك

د جون: لا تضيع الموضوع وأبدأ بسرد ما حدث وبالتفصيل

توماس: بعد أن دمرت جميع تجاربي، كان لدي ثلاث تجارب بشرية، أناس قد قمت بخطفها انتقاماً لنفسي و إرضاء لغروري وكسر غرورهم .

الشخص الأول كان ساحر يدعي علوم الغيب و يتبع السحر والشعوذة في طرد الأرواح الشريرة على حد قوله.

أما الشخص الثاني فقد كان أستاذ كيميائي مغرور عُرف في إحدى الجامعات بالمعتوه وطرد من مهنة التدريس بسبب تهوره في إجراء تجارب مباشرة على جسد أحد طلابه

د جان: والثالث من يكون

توماس: دعه للنهاية ولتسمع قصة الساحر أولا

د جون: لدي فضول بمعرفه الشخص الثالث وأتمنى أن تبدأ من عنده.

توماس: "يكمل حديثه بصوت عالي وهو يبدي انزعاجه من مقاطعتهم له"

الشخص الأول كما ذكرت كان يدعي بأنه طارد أرواح، وهو له يَد بما آلت إليه حالي، فعندما بدأت أقص على أمي ما أراه في أحلامي ظنت بأن روح شريرة قد سكنت جسدي فأخذتني إليه، كان شكله أفريقيا ذو شعر اجعد وشفاه غليظة، لكنته ثقيلة و يرتدي جلباباً من الجلد السميك أسود اللون، تفوح منه رائحة الحيوان، لا أدري جلد أي حيوان هذا ولكنه كريه الرائحة كشكل صاحبه، لم أحتمل الجلوس بجانبه كما طلب مني وكدت اتقيأ لمجرد أنني أجلس معه في كوخ واحد، كان يقيم في كوخ خشبي سقفه من القش و على جدرانه رؤوس حيوانات ميتة، ويبدوا بأنه يستخدمها في سحره فقد لاحظت وجود رموز وكتابات غريبة على أغلب هذه الرؤوس، كنت أنظر إلى كل ما هو موجود بتمعن شديد و قرف أشد، لقد كنت طفلاً وكأي طفل أخشى هذه الأشياء كما أنني كنت أهاب الغرباء كثيراً.

أثرت غضبه حين رفضت الاقتراب منه رغم إصرار أمي على ذلك، بقيت بعيداً جداً و أبتعد أكثر كلما حاول الاقتراب مني كان يبتسم لأمي بلطف بينما أرى الشر والغضب في نظراته نحوي، أخبر أمي بأنه لا بأس لو بقيت بعيداً عنه وأنه سيطرد من جسدي الروح الذي تسكنه، كانت المرة الأولى التي أتعرض فيها لذلك الضرب المبرح طلب من أمي وضع ملاءة بيضاء فوقي ففعلت دون تردد، كانت قلقة علي كأية أم تخشى على طفلها، لكن خوفها هذا أرسلني إلى الجحيم نفسه،

د. جان،: هل ضربك ؟

توماس: ليته ضربني فحسب

د. جون: ماذا فعل غير الضرب

توماس: لقد اشعرني بأنني مصاص دماء أو مستذئب هارب من ضوء الشمس فبعد أن وضعت أمي الملاءة فوقي أقترب مني وقيدني ككلب ضال، وطلب من أمي تركي لثلاث أيام متتالية، في البداية رفضت أمي الفكرة بشكل مطلق، لكنه ولشدة خبثه وضع صباغ أزرق اللون على ظهري و أوهم أمي أن هذا اللون بسبب روح شريرة تريد قتلي و بأن وجودي عنده يحميني منها وليس مسؤولا عن حالتي لو غادرت المكان، فاستسلمت لرغبته وتركتني وحيداً عنده ليذيقني أكبر انواع العذاب،

ثلاثة أيام رأيت الموت بأم عيني، ضرب مبرح بالسياط و تحضير جن من خلالي، كما قام باصطحابي لأحد المقابر، لقد جعلني انبش القبور و أقوم بوضع وريقات داخل افواهها، وعند أي رفض أو خوف مني كان يقوم برميي داخل القبر، كما قام بأخذي إلى معبد قديم داخل غابة مظلمة وإشعال كمية من الثوم داخله بينما قام هو وبعض الرجال اللذين يشبهونه بإشعال نار بجانب المعبد و ترتيل تعاويذ غريبة وهم يدورون حول النارويشعلون أوراق خضراء ملوثة بالدماء.!

د. جان: عبدة الشياطين أليس كذلك

توماس: هم كذلك وهذا ما علمته بعد أن اختطفه لأنتقم منه

د. جان: ولما فعل بك ما فعله؟.

توماس: على حد قوله ولم أصدقه طبعاً قال: بأن قرفي منه استفذ شيطانه وأمره بالانتقام مني وتعذيبي، الغريب في الأمر بأنه أصر على قوله هذا وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

وهذا يدل على شيء واحد فقط ألا وهو بأن الإنسان يصدق نفسه إذا أمن بكذبه.!

د. جون: لا هذا مستحيل فالعقل الباطن هو من يعمل في حال التنويم المغناطيسي

توماس: هذا صحيح ولكن شدة تصديقك للأمر و إيمانك به يجعله حقيقة دامغة في عقلك الباطن لاغياً أي فكرة بالتشيك بالأمر

د. جان: تقصد بأن على الكاذب أن يصدق نفسه حتى يصدقه الآخرون

توماس: طبعاً وهذا الأمر يقوم به جميع السحرة والمشعوذين فهم يؤمنون بقدراتهم و يصدقون أنفسهم حتى يستطيعوا إقناع الناس بما هو غير حقيقي و يسعون طوال عمرهم لإثبات أنهم على حق لدرجة تجعل عقلهم الباطن يصدق معتقداتهم.

دجون: هذا بمثابة تخدير للعقل الباطن و دمجه بالعقل الظاهر.

توماس: تحليل صحيح و هذا الأمر ليس بالسهل أبدا و لكن لو دربنا أنفسنا عليه، لامتلكنا عقل يصعب اختراقه

د. جان: وماذا فعلت بعد ذلك

توماس: لن تصدقا ما فعلته، لقد حولته لفأر باستخدام هذه النظرية، حبسته كفأر و بدأت أبث في عقله بأنه مجرد فأر، صوته، مشيته، طريقة أكله، غريزته بالخوف من الهررة، أشهر طويلة وأنا أبث هذه الأفكار في عقله واجعله يتصرف كفأر، حتى تمكنت منه، بشري داخل قفص فأر، يتكور على نفسه لمجرد سماع صوت هرة تقترب، ينتظر تناول الخبز و بعض الجبن المتعفن.

د. جان: لا أصدق بأنك نجحت في هذه التجربة و بمجرد تحرره منك سيعود لطبيعته.؟

توماس: ربما ما تقوله صحيح ولكنني حققت انتقامي منه وأثبت علمياً بأن

العقل البشري قادر على تصديق أي معلومة يسمعها بشكل يومي و بكل بساطة نستطيع انتزاع قناعة إنسان بشيء وإقناعه بما نريد.

د جون: كيف لذلك أن يحدث

توماس: لنفرض جدلاً بأن أحدهم أخبرك بوجود رائحة غريبة وأنت لا تشتم هذه الرائحة فهل تصدق

د. جون: طبعاً لا

توماس: ولو جاء شخص ثاني واخبرك الشيء نفسه هل تصدق

د. جون: حينها سينتابني الشك في نفسي

توماس: تخيل لو جاء شخص ثالث ورابع هل ستصدق.؟

د. جون: مؤكد سأصدق فلا يعقل أن يكذبوا جميعاً وأكون الصادق الوحيد.

توماس: لو أجريت التجربة على أحد ما سيخبرك في المرة الرابعة بأنه بدأ يشتم الرائحة الكريهة الغير موجودة أصلاً و ذلك بسبب تصديق عقله الباطن بوجود رائحة، هذا هو بث الوهم في العقول، التكرار من خلال جهات عدة يجعلك تصدق بوجود ما هو غير موجود وهذا ما جعل الساحر يصدق بأنه فأر ففي كل يوم كنت اتنكر وأخبره بأنه فأر والتجربة نجحت و بإمكانك إعادتها

د. جون: تجربة تستحق المحاولة.

والآن أخبرنا عن الكيمائي و ما فعله وفعلته به.

توماس: تعرفت عليه وكان لديه مختبر كيميائي في أحد الأسواق الشعبية أو كما يسمونها الأسواق السوداء التي تجد بها كل ما هو مفقود، بالإضافة للمواد المحظر استخدامها أو بيعها علناً، كنت أسير في السوق أبحث عن مواد تساعدني في تجاربي، لفت انتباهي رسم نبات على واجهة محل صغير للغاية اعتقدت في البداية أنه بائع أعشاب ودخلت بعد تردد، كان يجلس داخله رجلاً كبير السن قوي البنية، سألته عن نوع الأعشاب الموجودة عنده .

فسألني عما أريده وعن نوع التجربة التي أقوم بها.

أجبته من غير تفكير، وما أدراك بأني اقوم بتجربة ما

الكيميائي: لقد رأيتك ذات مرة في الجامعة التي و ربما كنت أحدى طلابي

توماس: لا أعتقد بأنني رأيتك قبلا ولكن يسرني بأنني وجدت أحد يساعدني في فهم ما أريده

الكيميائي: ألست من يدعوك ديبل

توماس: نعم أنا هو ولكن هذا الاسم لم يدعوني به سوى أصدقائي المقربين و لا أحد يعرفني به غيرهم، فكيف عرفته.؟

الكيميائي: لقد قرأت له بعض الكتابات و رأيت صورة قديمة له في إحدى المكتبات القديمة وحين رأيتك للوهلة الأولى اعتقدت بأنك هو.؟

توماس: (بتعجب شديد) هل تقصد بأني أشبهه.

الكيميائي: وأي شبه أنه لشبه كبير في الملامح ويبدو بأنك تهتم بما كان يهتم به

توماس: (محدثاً د. جون و جان) لقد جذبني حديثة لدرجة بقيت واقفاً لساعة كاملة أُحادثه لم أشعر بالتعب أو الملل فقد كان حلو الكلام، مثقف و شعرت بأني أعرفه منذ زمن بعيد، انتهى يومها نقاشي معه حين أخبرني بزيت كان اخترعه ديبل و أطلق عليه اسمه زيت ديبل كما حدثني عن تجربة كان يقوم بها و هي تحويل أي معدن رخيص لذهب خالص، وأشار إلي بإعادة التجربة التي فشل بها غيري، لا أنكر بأن هذه الفكرة أثارت حفيظتي و جعلتني أخذ منه المواد اللازمة للتجربة بالإضافة للمادة التي كنت أبحث عنها وهي مادة تستخرج من نبات يدعى قفاز الثعلب و قد استخدم في تقوية عضلة القلب وكنت قد سمعت عن هذه النبتة و غيرها حين رافقت والدي في إحدى رحلاته إلى إفريقيا.

د. جان: إنها المرة الأولى التي أسمع بها بهذا النبات.

توماس: إنها نادرة جداً و لا تباع فهي تعتبر مادة شديدة السمية في حال استخدمت بشكل خاطئ.

د. جون: ولماذا كنت تبحث عن هذه المادة وما حاجتك لها؟

توماس: اردتها لأجل أمي فقد كانت تعاني من ضيق في صدرها وحين راقبت نبضها، لاحظت بأن لديها ضعف في النبض و قد تحسنت حالتها حين بدأت بتقديم جرعات بسيطة جداً من هذه المادة ولكن سرعان ما فارقت الحياة بسبب إعطاؤها جرعة عالية منه دون علمي.

د جان: إذا هذه المادة تعتبر من السموم و من الخطأ التعامل معها.؟

توماس: يا عزيزي أن جميع أنواع الأدوية العشبية أو الكيمائية تعتبر سموم حين تستخدم بكمية كبيرة وبشكل خاطئ فكل ما قليله جيد كثيره سيئ.!

د. جون: فإذا الكيميائي هو من تسبب في موت والدتك ولهذا اختطفته.؟

توماس: لا ليس لهذا السبب وليس له علاقة بموت أمي، بل علاقته كانت معي أنا.

بدأت معاناتي حين أعطاني المعادلة التي توصل إليها لتحويل المعادن إلى ذهب وكانت عبارة عن ثلاثة مواد كيميائية نمزجها بكميات معينة فنحصل على ما نريد ولكن للأسف جميع محاولاتي فشلت ولم اتوصل لأي شيء، فاقترح علي استخدام مادة معينة كان قد حصل عليها خلال تجاربه ولكنه لم يخبرني بمدى خطورة هذه المادة وأنا لم أسأله.؟

قمت باستخدام هذه المادة ولاحظت بأن نفسي يضيق أثناء استخدامها كما بدأت أصاب بوهن شديد في البداية ظننت بأن السهر وعملي المتواصل هو السبب ثم اكتشفت بأن هذه المادة شديدة السمية ولو لم آخذ حذري في استخدامها كنت في عداد الأموات.؟

د. جان: هذا يعني بأنك لم تتأثر بها

توماس: بالعكس قد تأثرت كثيراً وكدت أموت فهذه المادة سامة باللمس و الاستنشاق، لقد عانيت طويلاً حتى شفيت بشكل كامل من حالة التسمم هذه والفضل يعود لكارلوس فهو من رعاني و أتى لي بترياق عشبي مضاد للسم.؟

وبمجرد شفائي قام كارلوس بخطف الكيميائي وإحضاره وهذا الشخص الوحيد الذي يعرف به كارلوس، فقد رافقني في جميع التجارب التي اجريتها عليه، لم تكن جميعها فاشلة فقد نجحت في ترميم جلده باستخدام جلد خنزير فقد اكتشفت بأن جلد الخنزير هو الأقرب لجلد البشر، وبالنسبة للتجارب الأخرى فقد جعلت منه رجلاً معاقاً نفسياً وجسدياً، فقد تسببت بضمور العضلات في جسده بالإضافة لفقده الإدراك و الهلوسة المستمرة و شلل كامل في الأطراف.

د. جون: أنت مجرم وهذه التجارب لا إنسانية

توماس: العلم يحتاج للتضحية فلما لا نضحي بأناس مجرمة وقد أذتنا بشدة.؟

د. جون: هذا ليس مبرر لما فعلته فحتى في التجارب العلمية يجب أن نتحلى بالعفو والرحمة.؟

توماس: حين كنت أقوم بهذه التجارب كنت انتقم لنفسي و لم أفكر بالانتقام برحمة عموماً هو انتقام قد يجعلني أحقق نجاح علمي يفيد البشرية و في معتقدي الغاية تبرر الوسيلة طالما النوايا طيبة.؟

د جون: هيه لقد اضحكتني بعد كل هذا الشر تقول بأن النوايا طيبة، أنا لم أرى شخصاً يحمل بداخله هذا الكم الهائل من الشر.

توماس: "بغضب" منذ طفولتي وأنا أقابل الاشرار ولم أحظى بالطيبين فكيف تريد مني أن أكون طيباً.

د. جون: أنظر خلف الزجاج هل هؤلاء أشرار، ألا يستحقون أن تكون طيباً، ألم يضحوا بمبادئهم لأجلك.؟

توماس: أن كان هناك أحداً يستحق الحب و يستحق أن اتغير فهم الوحيدين من يستحقون ولهذا أنا هنا، أعترف بما فعلت و أقر بتجاربي الفاشلة والناجحة لكم.

د. جان: هل تشعر بالندم؟

توماس: بل أشعر بالأسى تجاههم أما من ناحية انتقامي فلا فقد كان لي كل الحق بأن أرد اعتباري و أبرد نار صدري بعدما فعلوه بي.؟

د. جون: أعتقد بأنك وصلت للشخص الثالث أم أسميه الانتقام الثالث.

توماس: لا يهم ما تسميه بالأسماء نطلقها لنعرف الشيء ليس إلا.؟

الشخص الثالث هو أبي.!

د. جان و جون في صوت واحد: والدك

توماس: نعم والدي سبب تعاستي و وهمي، سبب ضعفي وجبني، سبب كوابيسي و السبب في تقمصي لشخص ديبل، فهو من زرع هذا المعتقد داخل عقلي وجعلني اقلده في كل شيء واسعى بكل جهدي لأبدو مثله.؟

بالإضافة لقتله أمي و جدي في أن واحد.

د. جان: لقد أخبرتني في بداية الحكاية بأن والدك قد غضب من احلامك وسؤالك عنه كيف تقول العكس الآن.؟

توماس: هذا ما كنت أظنه أو ما أراد مني أن اعتقده قبل أن اكتشفت بأنه إنسان مجرد من الأحاسيس، لقد كان يعمل طوال النهار ويعود ليلاً للمنزل، لم أكن أراه إلا في أيام العطلة ولكن أمي كانت تخبرني بأنه يدخل ليلاً لغرفتي ويبقى ساعات طويلة يتأملني و بأنه دائما ما كان يحدثني ويقص عليَّ الحكايات وأنا نائم، كنت أحاول البقاء مستيقظاً لأسمع ما يقوله ولكن النوم كان يغلبني دائماً، فلم أكن من الاطفال اللذين يسهرون برغم الأرق والكوابيس التي كنت أراها إلا أنني كنت اغط في النوم بمجرد أن استلقي على سريري، كبرت أعواماً وأنا أحاول السهر فقط لأسمع حكايات أبي أو لأحتمي داخل صدره من الكوابيس التي أراها ولكن عبثاً، حتى جاء يوم وسافر به أبي إلى إفريقيا لعمل اجهله، غاب ما يقارب الشهر كنت أنام براحة لم اعهدها من قبل ، الكوابيس اختفت وبدأت أعتاد السهر و تسلل لقلبي فرح غريب ولكن بعودته توقف كل هذا وعدت إلى سابق عهدي باختلاف بسيط و هو ملاحظتي بأن الكوابيس تزورني بمجرد دخول والدي للمنزل وتحديداً عند الواحدة بعد منتصف الليل موعد دخوله لغرفتي و بث أفكاره الشيطانية في أحلامي، لقد اكتشفت بأن ظاهره شيء و باطنه شيء آخر، فلم يكن بالرجل المؤمن الذي ظننته بل كان يتبع أفكار جدي و جده وكما يقال العرق دساس و الدم وراثة و الوعي يستحضر اللاوعي من خلال التفكير به، شبهي الشديد لديبل جعل جدي يعتقد بأن روحه تسكن جسدي و بأنني بطريقة أو بأخرى سأعيد تاريخ ديبل و أعيد أحياء أفكاره وتجاربه، بث في أحلامي جميع أفكار ديبل ومعتقداته لدرجة بدأت أحلم به فعلياً و اتحدث إليه و في بعض الأحيان حاولت لمسته ولكن في الحقيقة كنت أحدث أبي الذي أراد استحضار روح ديبل بأي طريقة،

كنت بين الشك واليقين، تائه في صراط مستقيم، أبحث عن سبب يجعل أب يفعل بولده ما فعله بي.

د. جون: أيعقل بأنه فعل بك هذا وإن كان صحيحاً فما هو دافعه.؟

توماس: بعد وفاة ديبل وجدت رسالة منه قد كتب فيها بأنه وجد أكسير الحياة و سر الأبدية والثروة و هذا ما سعى له جدي ومن ثم أبي، الذي رمى جدي في البحر وجعله يغرق دون أن يمد له يد العون، وكيف يساعده وهو خطط لقتله وانهاء حياته.

د. جان: ولماذا فعل هذا و هدفهما واحد.؟

توماس: لأن جدي رفض إعطاؤه المال للقيام في البحث عن أكسير وأصر على مرافقته في رحلة البحث المزعومة، حيث لقي حتفه على يد ولده واليوم يرتد عليه ما فعله وها أنا أحاول قتله كما قتل والده د. جون: لقد قلت بأنه قتل والدتك أيضاً فما كان سبب هذا.؟

توماس: لقد قتلها عن طريق الخطأ فلم يكن يقصد إنهاء حياتها حين أعطاها جرعة زائدة من الدواء الذي حضرته لها من تلك العشبة الضارة.؟

د جان: وما الطريقة التي اتبعتها في الانتقام منه.

توماس: لقد جربت عليه جميع العقاقير العشبية والكيميائية التي تجعله يعيش حياة أبدية محافظاً على شبابه ولكن للأسف جميع التجارب فشلت وكانت تجعله يتضاءل ويبدوا يوماً بعد يوم كجثة هامدة.

د. جون: ولم تتوصل لحقيقة أكسير الحياة أبدا؟

توماس: لا لم اتوصل له

د. جان:: وما السبب في فشلك هذا ؟

توماس : لم اجد من يستحق أن أنجح لأجله ولم أكن أهتم بمن أقيم عليه تجاربي.؟

ولكن حين عاداني أصدقائي في ذاك اليوم، أدركت بأن الحياة تكمن بمن نحب وبأن الشباب هو صفاء قلوبنا وبأن الثروة هي صحتنا و بأن القوة هي وجود ظهر تستند اليه حين تغدر بك الحياة ، شعرت بأنني فقدتهم بعد كل ما فعلوه لي، لم تهدأ روحي واجتاحني الغضب حين رأيت أكثر ثلاثة أشخاص قد تعرضت للأذى منهم يستلقون على أسرة داخل مختبري، اشتد غضبي وأنا أتذكر كل ما عانيته بسببهم ودون إدراك مني بدأت بنثر مادة حارقة في أرجاء المنزل ثم قمت بإشعاله بالكامل لم أهرب فقد وددت أن أموت حينها جلست على كرسي أراقب النار وهي تلتهم منزلي، مخبري، تجاربي، و أجسادهم، كانت النار تلتهم كل شيء حولي والدخان يملأ المكان، بدأت أشعر بالاختناق و فقدت وعيي.

د. جان: نعم لقد قرأت خبر احتراق منزلك في الجريدة وظن الجميع بأنك ميت وبان الجثتين تعودان لرفيقيك كارلوس وآريان.

فعلا هذا ما ظنه الجميع ولكن الحقيقة بأن اصدقائي عادوا ادراجهم حين رأوا ألسنة النار تخرج من منزلي و أخبرتني ماسة بأن كارلوس كاد أن يموت وهو يخرجني من المنزل، لقد قاموا برعايتي ومعالجة الحروق التي ملأت جسدي، لم يتخلوا عني برغم ما فعلته معهم والآن حان الوقت لاقف بجانبهم و أخرجهم مما أصابهم بسببي

د. جون: لم تخبرنا كيف وصلت لمختبرنا الخاص وما سبب الانفجار الذي حصل داخله؟

توماس: بعد أن شفيت تماماً كان لابد لي إجراء التجربة الأخيرة ولسوء حظكم علمت بانكما اقمتما مختبر حديث بعد تخرجكما وبانكما تعملان على فكرة جديدة تساعد في تحسين الذاكرة البشرية و دراسة تقوم على علم ما وراء الطبيعة وانتما تعرفان بأنني أول من بدأ بهذه التجربة ولم أحتمل سرقتكم لأفكاري وتجاربي، لقد سمحت باستغلالي في الجامعة ولكن حينها لم أكن مستعدا لذلك فقد بلغت غيرتكم مني أشدها وبلغ كرهي لكم أشده، ولهذا تسللت برفقتهم إلى مختبركم وبدأت أدرس ما تفعلانه، بمساعدة أصدقائي، لقد كنتم تسيرون على نفس الخطى التي رسمتها منذ زمن، لم أرى أي تجديد أو اجتهاد منكم في هذه التجارب، لذلك بدأت من الصفر في إعادة المعادلات الكيميائية و أقمت عدة تجارب فاشلة حتى وصلت لدواء جديد يحسن الذاكرة ولكن لابد من تجربته على عدة أشخاص ومعرفة مدى فعاليته، وبعد أن انتهيت من كل شيء أعدنا المختبر لما كان عليه سابقاً وهممنا للخروج منه لمحت أنابيب غريبة الشكل تحتوي على معدن سائلة ومواد كيميائية كنت قد استخدمتها في محاولة تحويل المعدن إلى ذهب، فخطر في بالي إجراء محاولة أخيرة و فعلاً فتحت الأنابيب وبدأت أرسم المعادلة والمبادئ الأساسية في مخيلتي، كنت أعمل بهدوء وتركيز تامين بينما كارلوس وآريان يجلسان يراقبان ما أفعله ولكن ماسة لم تكن من النوع الهادئ فهي امرأة ذات نشاط عالي وفضول كبير و بما أنها لا تقوم بأي عمل بدأت في التعرف على محتوى المختبر و تفحص أدواته، ولسوء الحظ لم أكن أعطي بال لتحركاتها أبدا ولم انتبه لها وهي تفتح القوارير وتشتم رائحتها وحين انتبهت كان الأوان قد فات لتنبيهها.

د.حون: المختبر يحتوي على غاز سام بالإضافة لمواد قد تنفجر بمجرد تعرضها لمصدر حراري بسيط..!

توماس: هذا ما حدث فعلاً حركت رأسي حركة بسيطة لأراها وبيدها انبوبين عرفت من انعدام اللون فيهم بأنهم مواد سامة أو غاز متفجر وكلاهما خطر عليها ودون وعي مني صرخت بأن تعيدهم بسرعة لمكانهم ولكن يبدو بأن ماسة قد فتحت أحدهما و تعرضت لشلل عصبي جعل الأنابيب تسقط من يدها، حينها شعرت بأن الأرض قد خسفت تحت قدمي و عادت تعلوا من جديد كل ما اذكره بأنني وجدت نفسي اطير عالياً واعود لاصطدم بالأرض و افقد وعي تماماً، كانت وجوههم الملوثة بالدم آخر ما رأيته والبقية تعرفانها جيداً.؟

دكتور جان: كنتُ قريباً من المختبر حين سمعت صوت الانفجار فركضت بأقصى سرعتي لأتفاجأ بكم ملقون على الأرض و قد ملأت الدماء ملابسكم، قمت بجركم بعيدا عن المختبر و بدأت اطفى الحريق لم يكن بالأمر السهل لكنني نجحت في إخفاءكم انتظرت عودة جون حيث ساعدني في نقلكم إلى هنا.

توماس وماذا بعد ذلك؟

د. جون: لقد حاولنا في شتى الطرق إعادتكم للوعي وإيقاظكم ولكن جميع محاولتنا بائت بالفشل وخاصة معك أنت.

توماس: ولماذا أنا تحديداً؟

جون: لأننا استطعنا التواصل معك ودخلنا عقلك الباطن من خلال الحديث المتواصل معك أما هم فكان من المستحيل التواصل معهم فقد كانوا منقادين لك حتى ونحن نبث لهم فكرة فقدانك للذاكرة.

توماس: هل كنت تتحدث معي داخل غيبوبتي

د. جون: نعم والغريب بأنك كنت تستجيب معنا بسرعة كبيرة.

توماس: هذا يؤكد نظرتي عن إمكانية التواصل مع العقل الباطن واخباره بما عليه عمله.

فعلا هذا ما حدث

د. جون: اريد ان أسألك شيئا مهما.

توماس: اسأل ما تريده.

د جون: هل تذكر ما رأيته في غيبوبتك؟

وهل تستطيع تفسير ما رأيته لنا؟

توماس: بدأ الحلم برؤيتي ابحث عنها أعتقد في هذا الوقت بأنني قد أخذت حقنة مهدئة جعلتني أشعر بأن شيئا ما يتسلل لداخل جسدي لقد كان جميلاً لدرجة شعرت بأن ماسة هي من تسير داخل جسدي لقد أحببت هذا الشعور الذي أسرى الدم في داخلي أيقظ بي حنين لها لم أكن لأشعر به قبلاً، شعرت بكريات دمي ستخرج بحثاً عنها لتعانقها وتردها لأضلعي لكنني سرعان ما استيقظت من هذا الحلم لأجد نفسي على متن سفينة في عرض البحر وهذه السفينة تمثل حياتي التائهة بين الوهم واليقين، تمثل تجاربي التائهة التي قدمت لها العديد من القرابين لإنجاحها أما الكائن الغريب فلم يكن سوى أفكاري التي تلتهمني وتلتهم كل من حولي كانت ناراً تلتهم جسدي وتحرق كل من يلقي عليَّ السلام.

د. جون: والجزيرة ما هي؟

توماس: هي المكان المظلم الذي عشت وترعرعت فيه حيث كنت أعيش على فضلات ما تقدمه لي، هي ذاك السجن الذي حاولت الهرب منه، واللجوء إليه هي ذاك اللغز الذي تعبت في حَله، ومن معي لم يكونوا سوى أخطائي وذنوبي اللذين حاولوا الاقتصاص من أحبائي ومني، تحَصَّنتُ من الأذى فكان شعوري بالخطأ الذي ارتكبته بحقهم و حق الناس جميعاً هو ما رأيته امتصصت دمائهم وفي الحقيقة لم امتص سوى الفشل و تعذيب الضمير.

د. جان: والحيوان الأم ما هي؟

توماس: هي الجحيم الذي رَميتُ بداخله جميع من أقترب مني بالإضافة لأحلامي المشوهة، هي ذاك البركان الغاضب بداخلي الذي كدتُ أحرق به أغلى من لدي، هي حصيلة أفعال شيطانية تشكلت بخمس أذرع أساسية كان لا بد لي من أن اسلكها واتجاوزها جميعها كي اعود كما أنا الآن .

د. جان: لم افهم؟ ما هي الأذرع الخمس؟

توماس: هم عائلتي، اصدقائي، تجاربي، أعدائي و ديبل

رأيتهم جميعهم بأشكال مختلفة يتعذبون بطرق غريبة وطريقة تعذيبهم الوحيدة هي أنابيب تجاربي آلتي اخترقت أجسادهم وتخللت أجسامهم، سممتهم، قيدتهم، سَلبت إرادتهم، وأنهت حياتهم.

د. جون: هذه أذرع الحيوان الأم فماذا عن جوفها و تغيير المناخ بين الليل والنهار

توماس: كان هذا التغيير هو ما يحدث قبل الواحدة بعد منتصف الليل وبعد الواحدة من منتصف الليل، جوفها هو هذا الوقت الذي وقعت بين فكيه وغرقت داخله لسنين طويلة

د. جان: كيف يمكن للروح أن تسافر في خيال العقل وتصوير حياة كاملة بهذا الشكل الرائع، إن للروح شؤون لا نعلمها وللأحلام تأويلات يصعب فهمها.

توماس: رحلة ضياع بين الشك واليقين فلم أكن أعلم أيهما وهم وأيهما حقيقة، ضياع و صراع، الصراع الذي أنبت بداخلي البذرة الأخيرة في حب الخير.

د. جان: لم أتخيل قط بأن ما نراه في أحلامنا هو رحيل للروح و سفر ويل المَدَى، قصير الزمن، يختصر النزاع الذي بداخلنا، يحلله ثم يركبه ثم يقتلعه ثم ينبته في آنً واحد.

توماس: ألم أخبركم بأن الروح تحكمنا في غياهب أحلامنا؟ حيث لا مكان للعقل و لاوجود لأي إرادة تتحكم بنا. في الأحلام فقط نستطيع أن نلمس السماء بأصابعنا و نستطيع أن نرسم لوحة فنية بأجمل الألوان على سطح الماء، بالأحلام يا صديقي ننتزع فؤاد القلب و نعيده لمكانه، هل تتخيل كيف لروح لا يمكنك أن تراها او تلمسها ولكنها تسكنك وتأخذك حيثما تريد دون أدنى اعتراض أو مقاومة ؟ هل تخيلت كيف تجعلك تنساق بكامل رغبتك خلفها؟ هل تدرك بأنك مسيرٌ ولست مخير بل أنت تتبعها حين تغادرك، هي بالحقيقة لا تحتاجك فأنت سجنها وهي أسيرة جسدك في صحوتك وحرة طليقة في منامك، ترتحل عنك هائمة في ملكوتها سالبة لُبَ عقلك و تجرك حيثما تشاء ولكنك لا تستطيع جرها.؟

د. جان : أنها مسألة يصعب فهمها و مجرد التفكير بها يرهق الأعصاب فلا تتعمق بتفاصيلها ولا تتعلق بأوهامها دع الأمور تسير كما هي دون تحليل و دون فلسفة منطقية فالمنطق ياصديقي لا يحكم كل الأمور.

توماس: وهل تعتقد بأن الحياة ستستمر دون فلسفة و دون علم؟ كيف لنا الاستمرار إذا لم نتوغل في حقائق الأمور و إدراكها، عندما نموت نحن سيأتي من يكتشف ما نحاول اكتشافه، الاسئلة وجدت للإجابة عنها وليس لإهمالها فلكل سؤال جواب ولكل لغز حل وكل حياة موجودة الأن كان قبلها حياة عانت وبحثت وتوغلت وما نحن سوى استمرار لمن كانوا قبلنا و للذين سيأتون بعدنا، الفكرة تُربط بخيط معلق في مكان مجهول ينتظر من يمسك به ويتبعه وبه تبدأ رحلته وربما تنتهي.

د. جون : بعيداً عما تقولان هنالك سؤال يشغل بالي ولم تذكر عنه شيء يا توماس.

توماس: وماهو يا ترى؟

د جون: تشارلز من هو ما موقعه في حلمك ويقينك.؟

توماس : تشارلز صاحب التفاحة المحرمة

د. جون: وما هي التفاحة المحرمة.؟

توماس: (ضاحكا) أنها حكاية أخبرتني بها ماسة لا أذكر تفاصيلها ولكن تذكرت عندما أعطاني التفاحة و عاد لأخذها وكأنها محرمة عليَّ محللة له أنتما تعرفان من هو تشارلز.

د. جان: لا لا نعرف من يكون فأنت لم تخبرنا!

توماس: انه أبي وما رأيته لم يكن سوى تحليل لحقيقة ما فعله بي، فإن التفاحة كانت بمثابة الأمان الذي اشعرني به حين حاول الحفاظ علي وجعلني اواظب على زيارة الكنيسة، هي الحب الذي كان مجرد وهم وخداع حيث جعل أمي تعتقد بأن دخوله إلى غرفتي ليلاً ليطمئن عليّ ويقرأ لي القصص، هي ذاك الخوف الذي دخل قلبي حين عرفت الحقيقة، سلبَ تفاحة الأمان مني و سرق الحبَ وجردني من الإنسانية، لقد أخبرني بأنه فقدَ زوجته ولم يراها من حينها ولكن حقيقة الأمر هو من قتلها وحمل على كتفيهِ نعشها وأظهرَكل الحزن والدمع من عينيه وقام بدور الممثل الأول بكل احترافٍ وعظمة فكان كالقط البريء الذي يمسح الدم عن أنيابه بعد التهامه لأبنائه ، اسمعتما بقاتل يسير في جنازة قتيله؟ لا لن تسمعا ولكن سأقول لكما بأن أبي قد فعلها، نعم قتلها وأقام عزائها .

ولكن لم ادعه ينجو بفعلته، قتلته نعم قتلته في يقظتي وحلمي ولو عاد بي الزمن سأقتله من جديد الف الف مرة .

د. جان: إنك شخص مخيف جدا ولا يؤُمن جانبكَ.

توماس: أنا لستُ شريرابالفطرة أنا مجردُ ضحية لمشروع وتجربةٍ فاشلةٍ منذ البداية فماذا تتوقع من شخص زُرعت افكار غيره في رأسه مذ كان طفلاً؟ ألم تكن معجباً بذكائي ؟ فإن هذا الذكاء لم يكن ليأتي عبثاً بل هو ذكاء مُطورٌ مدسوس، ملعون، متفكر، متيقظ، باحث، عالم، لم يترك مجالاً إلا اتبعه وأصر على احراز تقدمٍ فيه ، جمعتُ كل ما دُسَ داخله واضفتُ عليه و طورته و عقدت عقدي مع شياطين الانس والجن فحللت وحرمت، أعطيت ومنعت، قتلت واعطيت الحياة لمن يستحقها، لست مجردً من الأحاسيس ولكنني قتلت شعوري في اللحظة التي عرفت حقيقة ما فعله والدي.

صدقاني لن تشعران بما مررت به لأنكما لم تعيشا ما قد عشته ولم تجربا شعور الألم حين تُقتلع جذوركما من أرضٍ لطالما ظننتما أنها أرضاطيبةً، خيبتي كانت كأنها حبةُ جوزٍ احتمت بقشرتها ظناً منها انها سوف تحميها فعندما يبُست انخلعت وتكشفت عنها لتتركها مُعرضة للإلتهام گساقِ شجرة انتزعوا لِحاها وتركوها تموت ببطءٍ،هل تصدقان بأنني شعرتُ بالرحمة نحوه أكثرمن مرة وكلما رأيته شعرتُ بأنني أموت عطشاً وليس أمامي سوى ماؤه المسموم، فإن شرِبتُ منه أموتُ مسوماً وإن امتنعت عنه يقتلني الذنب ، لذلك قررتُ قتلهُ للتخلص مما أشعربه.

د. جون: لازلت تتأرجح بين شخصيتين منفصلتين غير مدرك من انت وماذا تريد، أراك تائهاً عن الواقع ، غارقاً في بئرٍ من الخطايا، مغمضَ العينين رافضاً نور الحقيقة وخائف من نفسك .

توماس: أنا أرفض ما كنت عليه وغير أسف على ما فعلته بهم، قتلوا الإنسان الذي بداخلي فأخذت أرواحهم، معادلة بسيطة، العين بالعين والقتل بالقتل.

د. جون : ولكنهم لم يقتلوك.

توماس: وهل القتل بمنظورك هو الموت ؟

الموت هو أن تتعذب روحك وأنت على قيد الحياة ومازلت تتنفس نفس الهواء ولكنهم يتنفسوه بمتعة تعذيب روحك وأنت تتنفسه من أسطوانة ضخمة مليئة بالهوان بدل الهواء وتتجرعه بألم يعتصر حنجرتك ،الموت هو أن تسلب انسانيتك وطهر قلبك و أن تُغتصب أحلامك فالموت يا عزيزي ليس فناءً للجسد ومفارقة الروح له بل الموت الحقيقي هو نزيف روحك و تشتت عقلك هو أن تعيشَ غريباً حتى عن نفسك هذا هو الموت، وهذا هو اغتصاب الروح، الروح التي ترافقك بطهر ويدنسها أقرب الناس واحبهم إلى قلبك.

، لقد كنت رحيماً معهم رغم العذاب الذي مارسته عليهم ، أما هم فقد قتلوني ألف مرة ومرة.

قتلني والدي حين سلب حياة أمي حين حرمني من رائحة عطرها من البخور الذي يخرج من خطاها، من عنبر عطرها الذي لن يفارقني، أنني اشتمه، اتنفسه، فأنا استحم به و يغسلني و يزيل عبء الخطايا مني ،فكان هذا العطر يرافقني في غيبوبتي و في السفينة و الجزيرة وأيضاً على منضدةِ تجاربي وبين الجثث المترامية أمام ناظري

طوال الوقت فعندما اشتمه أعود طفلاً صغيراً يعانق بكفيه الصغيرتين رحيقها ويبحث عنها بعينيه اللتان لم تكد ترى إلا نورها ، احاول أن أتسربَ داخلها لعلها تنسل إلى داخلي كنسمة عليلة في ليلة صيفية لعلها تحملني و تأخذني وتغيب بي في ذرات ترابها.!

د. جان: اهدأ ، اهدأ قليلاً وهاكَ منديلاً امسح به دموعك.

توماس: دموع أي دموع هذه وهل تظن بأن للشيطان دموع و هل تعتقد بأن إبليس يبكي؟

و هل الجحيم ينتحب؟ لا يا صديقي هذا ليس ببكاء وهذه ليست بدموع ماهي سوى محاولة سخيفة لرمشٍ ضعيفٍ أن يجرح العين فدافعت عن نفسها وقاومت وانهمرت بماءٍ لتزيل آثار محاولته القذرة .

د. جان: سأحضر لك بعض الطعام ونتركك ترتاح قليلاً.

توماس: اتركاني وحيداً فحسب ولا تعودا إلا إذا طلبتكما.

د. جون: لن أتركك وأنت في هذا الحال دعني ابقى معك واعدك بأن أبقى صامتاً ولن اهمس ببنت شفه.

توماس: دعاني وشأني واخرجا رجاءً.

يسحب د. جان أخاه ويخرجان بهدوء لأعود لوحدتي و ذكرياتي، لا أدري كيف تسلل صوت أمي إلى أذني، كيف سمعتها تناجيني، هل اشتاقت إلي كما اشتقت لها ؟أم أنها رأتني شيطاناً كما يراني الجميع؟، تسللت إلى ذاكرتي صورة تلك المرأة التي كانت فوق السفينة، حيث كانت ملامحها تصرخ من عمق روحها لا أريد أن أموت، رأيت روحها تبتعد عنها قبل أن يرموا بها داخل فوهة ذاك الكائن الخيالي، لقد فارقت الحياة قبل أن يلتهمها، لمحتُ روحها تحلق فوق الكائن وكأنها تريد أن تتأكد بأن جسدها قد انتهك وتفتت ولا مجال لعودتها إليه؛ حلقت بعيداً تحمل ألمها بتثاقل كأنها حائرة متسائلة أي ذنب قد اقترفت وبأي ذنبٍ قد قُتلت ؟

تتجلى أخطائي واضحة أمامي حتى بعمق أحلامي محاولاً جمعها في صورة واحدة وكأنني أللم غبار الهواء و ارسم منه لوحة مفزعة مليئة بالرعب والتعب والعتب فتأتي أفكاري مختلطة تارة كأنها أمواج تعلو فيرتطم الهواء بوجهي وتارة تأتي بتجاربي التي تذيب جلد بشرتي فأشعر بجسدي يتشقق وأن شيئاً ما يربطني و يقيدني ثم يرفعني عالياً فوق السحاب حتى لا أكاد أرى الأرض ثم يرميني بقوة لأدنى طبقات الأرض. مُرهقة أفكاري، تائهة روحي، الإثم يفتتني أشلاءً، أشلاء و يبعثرني كفتات خبز متعفن على الطرقات ليظهر كظلام أسود تتخلله ظلال من نور، أنظر نحوها فأمد يدي إليها أحاول الإمساك بها وتحاول الاقتراب مني ،فقط بضع سنتيمترات تبعدني عنها أشعر بأطراف أصابعي تلمسها وأشعر بحرارتها وقبل أن تمسك يدي بها، أسمع صوت ينادي توماس، توماس، استيقظ، توماس صراخ يتكرر بصوت يعلو ويعلو أتلفت حولي باحثاً عن مصدر الصوت لتأتيني هزة قوية تهز جسدي وتزلزله

تختفي الظلال و أفتح عيناي فأجد جون وجان فوق رأسي وكلاهما يصرخ باسمي ويهزا جسدي، سألتهما متعجباً

ماذا هناك ولماذا كل هذا الصراخ وما الذي يحدث؟

د. جون : هل أنت بخير، كيف تشعر اخبرني؟

توماس: أنا بخير ما خطبكما؟

د. جان: كدنا نفقدك يا توماس، لقد كنت تموت، بدا جسدك بارد وانفاسك تتقطع وغابت دقات قلبك لثواني.

توماس: لقد كنت أحلم فقط.

د. جان: لا لم يكن حلماً، أعتقد بأن روحك قد غادرتك لثوانٍ ثم عادت .

توماس يضحك بسخرية هذا غير صحيح فلو غادرتني روحي لكنت رأيت عين الحياة وأنا لم أراها.

د. جون: وما هي عين الحياة هذه ؟

توماس: عين الحياة هو المكان المزعوم التي تجتمع فيه الأرواح، حيث اليوم كالأمس و الأمس كالغدِ، هناك تُحشر جميع الأرواح حيث تُمنع من تخطي حدود السماء و تبقى عالقة حتى تجد جسدا يناسبها فتنزل إليه لتبث بين ضلوعه نور الحياة من جديد .

د. جان : أنت تهذي أليس كذلك؟

توماس: هذا ما قالته لي ماسة في دراسة كانت قد أجرتها عن شيءٍ يُسمى ما وراء الطبيعة وتقمص الأرواح، فعندما أخبرتها عن أحلامي ب ديبل ظنت بأن روحه قد تقمصت جسدي وبقي هذا الاعتقاد قائم حتى علمت بما كان يخطط له أبي وجدي.

د. جون: وكيف علِمت بهذا الأمر، هل ماتت وعادت أم جعلت روح أحدهم تنتقل و تخبرها بما ترى؟

توماس: لا تسخر منها وإلا فصلت رأسك عن جسدك.

د. جون: أنا لا اسخر بل اتحدث بالعقل والمنطق فما تقوله خارج عن العقل.

توماس: كل ما يفكر به العقل هو حقيقة وكل ما تراه العين فهو موجود وكل ما نلمسه محسوس ، نحن نسعى لإثبات صحة أفكارنا ونظرياتنا ولا نحكم دون تجارب .

د. جان: اسمع يا توماس، أي تجربة حية ملموسة و محسوسة هي حقيقة تكون نتيجتها الفشل أو النجاح و أي شيء غير ذلك هو وهم و محض خيال ليس إلا.

توماس: لكن ماسة أخبرتني بأن هناك تجارب حية بيننا، قالت أن هناك أناس ماتوا في غير زمن وعادت أرواحهم في جسد جديد وزمن مختلف .

د. جان : وكيف عَرفت ذلك؟

توماس: الروح سكنت جسداً جديداً ولكن بذكريات قديمة متأصلة غير قابلة للنسيان او التجاهل حتى لو بقيت غير واضحة لفترة ولكنها تأتي كالحلم كالوميض الذي ينعش الذاكرة الجديدة فيملأها بالذكريات القديمة وتتشكل الصورة واضحة مرئية ويأخذ صاحبها بالبحث ليكتشف من هو ومن كان وروح من هذه في الحقيقة

فيتقبلها ليصبح الجسد الجديد وهذه الروح القديمة إصبعان في يدٍ واحدةٍ لا ينفكان ويصبح الجديد هو القديم وبالعكس .

د جان: لكل شعب معتقداته الغريبة و أنا لا اؤمن بصحتها فالجميع يعيش على ما سبق ويتبعون من قبلهم بالعادات والفكر فكيف اصدق من يسير على خطى أجداده دون تفكير ودون تغيير ودون اعتبار الوقت والتطور حافزاً لتطوير هذه المعتقدات والتمحيص بها لتناسب الوقت الذي نعيش فيه فلا يمكن أن نعيش بأسلوب اهل الكهوف ونحن نضيء منازلنا بمصابيح اعتبروها هم كأنها النجوم وهانحن حسب معتقدهم أنزلنا النجوم إلينا فكيف لا نستطيع تغيير الأفكار القديمة واستبدالها بفكر مستقبلي ناضج.

توماس: دعك من هذا فلست بصدد تحليل تجارب غيرنا أو معتقداتهم رغم إنني مدرك تماماً اختلاف ماسة عنهم و أقول لك بإيجاز بأنهم يعلمون أسرار الحياة أكثر مما نعرف.

د جان: أتفق معك في ما تقول فهناك الكثير من الباحثين الذين انسلخوا من مجتمعاتهم واثبتوا قدراتهم في جميع المجالات ولكن ما تقوله ماسة أشك بصحته.

توماس: حسناً إذا أسمع ما قالته ماسة بخصوص اكسير الحياة وسر الخلود الذي نبحث عنه منذ بداية الوجود.

د. جون: هل تعرف ماسة سر الخلود.؟

توماس: لا أدري إن كان حقيقة ولكنها روت لي حكاية قديمة منذ الأزل حيث قالت بأن هناك نبع يدعى عين الحياة وكل من يجده ويشرب منه يعيش أبدا ولا يموت.

د .جان : وهل هذه عين الحياة التي في السماء حيث ترحل الأرواح؟

توماس : لا لا طبعاً التي في السماء هيا ما أسمتها الفردوس أما هذه فهي عبارة عن نبع ماء يشاع أنها في مكان مظلم لم تطأه قدم إنس أو جان كما ذكرت لي بأن جيوشاً قد خرجت بحثاً عنه ولكن لم يحظى به إلا شخص واحد.

د. جان: ومن يكون هذا الشخص وهل قال أين تقع هذه العين.؟

توماس: لا لم تذكر لي شيئاً وقالت بأن كل شيء في علم الغيب ولكن بالعقل نفكر ونبحث لنعرف بأنها قالت نصف الحقيقة والنصف الآخر فهي تجهله أو تحتفظ به لنفسها .

د جون: وهل تصدق هذا أيضا؟

توماس: نعم أصدق وكما قلت لك سابقاً بأن العقل لا يفكر عن عبث وكل فكرة تأتيك أعلم بأن وراءها حقائق وما الفكرة إلا شعاعاً يرشد تفكيرك ويكون صلة وصل بينك وبين العالم ويدفعك للتحقيق في سراديبه وخفاياه.

د. جان: أرى أننا خرجنا من علم الكيمياء إلى علم الأرواح و الخرافات.

توماس: علينا إيقاف كل هذا والاهتمام بأصدقائي فهلا ساعدتماني في علاجهم وإعادتهم لي؟

د جون: لقد فشلنا في علاج تلك التقرحات وقد بدأت تأكل من عظامهم أنظر للون بشرتهم كيف يبدو.؟

توماس: أنا لدي طريقة لعلاجهم ولكن إن لم تساعداني سأفشل.

د جان : نحن معك قُل لنا ماذا نفعل وسنفعله.

توماس: بداية علينا إزالة الجلد الميت من التقرحات وتقليبهم بشكل مستمر حتى يتنفس جسدهم فهذه التقرحات بسبب نومهم الطويل وعدم تقليبهم.

د. جون: هذا شيء سهل ولكن هل سيشفى جلدهم بهذه الطريقة.

توماس: طبعاً لا إنهم بحاجة لعلاج وأنا سأقوم بتحضيره لهم بعد أن تحضرا لي الأعشاب اللازمة لصنعه.

د. جان: لك ذلك قُل اسم الأعشاب التي تريدها لإحضرها على الفور.

توماس : هل سمعتما بالعشبة المرة

د. جون: هل تقصد العلقم؟

توماس: نعم هو بالإضافة لعشبة بندق الساحرة.

د جان : وما تكون هذه؟ لم أسمع بها قبلاً

توماس: إنها عشبة إفريقية، رأيت أحد القبائل تستخدمها لعلاج الحروق و الانتانات الجلدية حين رافقت أبي إلى إفريقيا.

د جان: وأين سأجدها وهل لها اسم آخر؟

توماس: ستجدها في السوق السوداء فهي نادرة وغالية الثمن ولكنني متأكد بأنك ستجدها عند أحد العطارين هناك.

د. جان: سأفعل ما بوسعي للحصول عليها و بينما أفعل ذلك إبدأا انتما في العمل.

ذهب جان بحثاً عن الأعشاب بينما بدأت أنا و جون في تقليب اصدقائي و تنظيف التقرحات من الجلد الميت و الدم المتيبس، كان شكل جلدهم مرعب فبالإضافة للتقرحات كان هناك آثار للحروق الملتهبة جراء الانفجار، كنت أتساءل في نفسي هل يعقل أن كيمائيان گ جون و جان لا يعرفان كيف يعالجان حروق كهذه، بدأ الشك يتسلل إلى داخلي تجاههما و شعرت لوهلة بأنني كنت غبياً حين وثقت بهما واخبرتهما كل شيء ببساطة وسهولة، لطالما كانا يكرهانني ويحاولان تهميشي ويتمنيان فشلي، كيف جعلاني أثق بهما بهذه السهولة.

د. جون: لا تنظر لهم وتفكر كثيراً فنحن فاشلان ولم نستطع علاجهم فعلاً، لا تدع ظنونك تأخذك بعيداً قبل أن ترى الحروق وتعرف بأنها ليست حروقاً عادية.

توماس: وكيف علمت بما أفكر به ؟ هل تقرأ أفكاري؟

د. جون: من البديهي أن تشك في فشلنا في علاجهم ونظراتك فضحت أفكارك.

توماس: هذه الحروق نتيجة لغاز متفجر أي كيمائي و لن يشفى بسهولة وإن شفي فسيبقى أثره مدى الحياة.

قضينا ساعات طويلة في ما نفعله وقبل أن ننتهي أتى جان ومعه ما طلبته منه فسارعت بأخذ الاعشاب و تحضيرها لتكون علاج لهم.

***

مرت أيام طويلة ونحن ندهن العلاج لهم ونقليهم ، بالإضافة أنني كنت أحادثهم باستمرار لعلهم يستجيبون لصوتي، كانت الأنسجة المتضررة تتماثل للشفاء وقد أدهش هذا جون وجان فالأنسجة تبني نفسها بنفسها وتندمل شيئاً فشيئاً، لقد كان لهذه الأعشاب قدرة رهيبة في إعادة بناء أجسادهم و لكنهم لا يزالون تحت تأثير الصدمة، داخل الغيبوبة، يأبون الاستيقاظ، يرفضون العودة عندها استسلمت بشكل كامل وجلست متفرجاً منتظراً لحظة استيقاظهم.

د. جون: تبدو حزيناً ، بائساً فكل ما فعلته لإيقاظهم باء بالفشل.

توماس: لقد سئمتُ من الانتظار ومن إلقاء الأحاديث وسرد ما حدث لهم كل ساعة تعبت من شوقي لهم و من وجودهم في عالم لا أعرفه.

أود أن أعود للنوم علي استرجاع أحد أيامي معهم.

د. جون : حاول أن تستحضر ذكرى معينة أو موقف ما يستفز مشاعرهم فينهضوا

توماس: لقد تمكن اليأس مني تماماً ولن أقوم بفعل أي شيء، لن استفز نومهم ولن أجري تجارب أخرى و سأرحل تاركاً كل هذا الخراب خلفي

د .جان: ماذا هل تقصد أن كل شيء قد انتهى ؟ ولن تجري أي تجارب أخرى، هل ستهرب.؟

كنت أستمع لكلام جان و انظر لأصدقائي، محاولاً استحضار حدث صغير قد يجعلهم يستيقظون وفجأة صرخت فرحاً، اللحن نعم ذاك اللحن هو ما قد يوقظهم ، نهضت من مكاني وانا اجيب جان على كلامه.

توماس: بل على العكس تماماً سأكمل ما بدأته ولكن بعد أن أفعل شيئاً أخيراً د. جون: ماذا ستفعل؟

توماس: سأذهب لأعيد اصدقائي

د. جان: إنها قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل ،هل تريد إيقاظهم في هذا الوقت.؟

د. جون: دعه يدخل يبدوا أنه تذكر شيئاً مهماً.

توماس: هذا ما حدث بالفعل يا جون ثم إن هذا الوقت هو الأنسب بالنسبة لي عليّ اترك لدي ذكرى جميلة في هذا الوقت، ذكرى تعوضني عن كل السوء الذي يربطني بهذه الساعة المشؤومة.

اتجهت للغرفة التي ينام بها أصدقائي فتحت الباب وبدأت اخطو ببطء شديد وأنا أردد دندنة غريبة و أقول لهم هيا استيقظوا فإنها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، بدأت جفونهم ترتعش وبدأ الاستيقاظ صعب عليهم، فاقتربتُ من كارلوس عانقته بشدة وأنا اهمس بإذنه بأن يستيقظ، فعلت مع آريان الشيء نفسه ، تركتهما يحاولان الاستيقاظ واتجهت نحو ماسة، آهٍ كم هي جميلة وفاتنة برغم ما يحمله جسدها من جروح وتقرحات، لم أقاوم شوقي فاقتربت معانقاً لها هامساً في أذنها إنها الواحدة بعد منتصف الليل فهل تقبلين الزواج بي؟

شدت بأناملها على رقبتي معلنة موافقتها المرهقة.

تمت بعون الله...